UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234964

UNIVERSAL
LIBRARY

الجزء الثانى

من تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل
العلامة أبى البركات عبد الله بن
أحمد بن محمود النسفى
عليه سحائب الرحمة
والرضوان
آمين

﴿ قال فى كشف الظنون ﴾

﴿ مدارك التنزيل * وحقائق التأويل ﴾ للامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشرة وسبعمائة أوله الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام الخ وهو كتاب وسط فى التأويلات جامع لوجوه الاعراب والقراآت متضمن لدقائق علم البديع والاشارات موشح بأقاويل أهل السنة والجماعة خال عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل اه

قام بنفقات طبعه السيد محمد عبد الخبير الخطيب

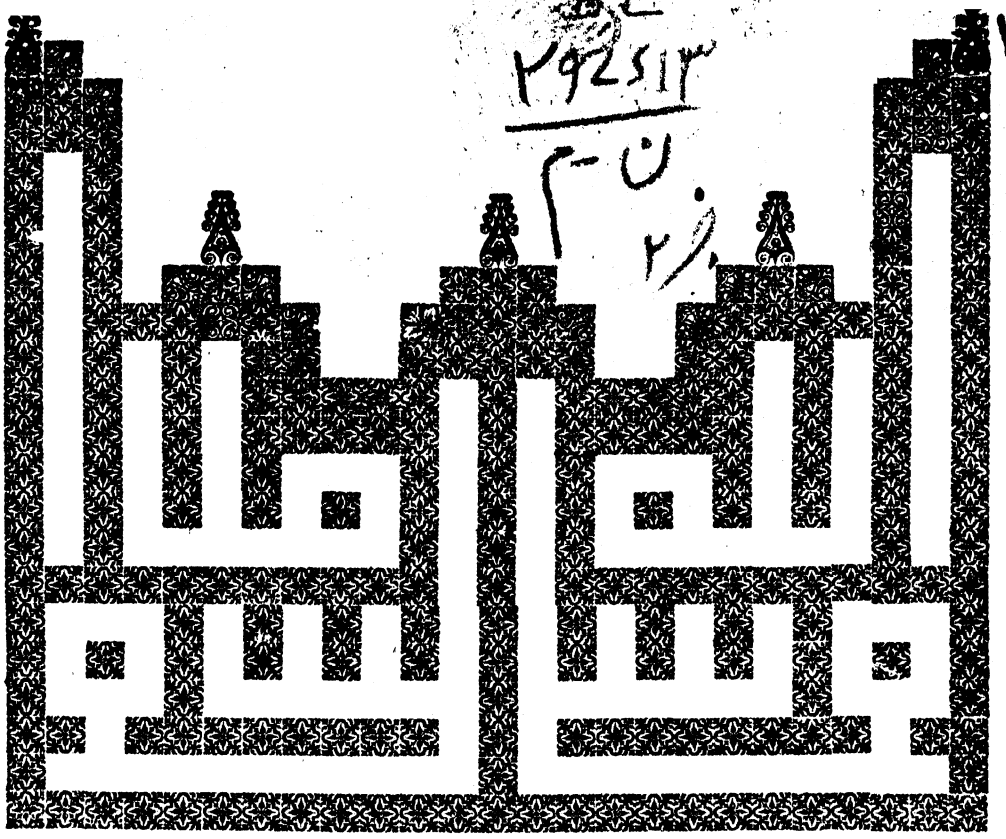
﴿ محل مبيعه ﴾

﴿ بالمكتبة الحسينية المصريه ﴾

بشارع الحلوجى بجوار الازهر الشريف بمصر

طبع بالمطبعة الحسينية المصريه سنة ١٣٣٢ هـ

٦٤٣١ ع
٢٩٢٥١٣
ن - م
٢



﴿سورة الانعام مكية﴾

﴿وهي مائة وخمس وستون آية كوفي أربع وستون بصري﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أي الحمد له وان لم تحمدوه (الذي خلق السموات والارض) جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين ان كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة وأفرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات لقوله عليه السلام خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (بربهم يعدلون) يساوون به الاوثان تقول عدلت هذا بذا أي ساويته به والباء في بربهم صلة للعدل لا للكفر أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه أي يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة يعدلون أي عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله

على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته أو على خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته (هو الذى خلقكم من طين) من لابتداء الغاية أى ابتدأ خلق أصلكم يعنى آدم منه (ثم قضى أجلا) أى حكم أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة أو الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ أو الاول النوم والثانى الموت أو الثانى هو الاول وتقديره وهو أجل مسمى أى معلوم وأجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التأخير لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة (ثم أنتم تمترون) تشكون من المرية أو تجادلون من المراء ومعنى ثم استبعاد أن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (فى السموات وفى الارض) متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذى فى السماء إله وفى الارض إله أو هو المعروف بالالهية فيهما أو هو الذى يقال له الله فيهما والاول تفريع على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهركم) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أى وهو يعلم سركم وجهركم (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب ومن فى (وما تأتيهم من آية) الاستغراق وفى (من آيات ربهم) للتبعيض أى وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التى يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم فى العواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا (بالحق لما جاءهم) أى بما هو أعظم آية وأكبرها هو القرآن الذى تحدوا به فعجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أى أنباء الشئ الذى كانوا به يستهزؤن وهو القرآن أى أخباره وأحواله يعنى سيعلمون باى شئ استهزؤا وذلك عند ارسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلو كلمته (ألم يروا) يعنى المكذبين (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون (مكناهم) فى موضع جر صفة لقرن وجمع على المعنى (فى الارض ما لم نمكن لكم) التمكين فى البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال والاستظهار باسباب الدنيا (وأرسلنا السماء) المطر (عليهم مدرارا) كثيرا وهو حال من السماء (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا فى الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فاهلكناهم بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيأ (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) فى ورق (فلمسوه بأيديهم) هو للتأكيد لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ومن المحتج عليهم العمى (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (وقالوا لولا) هلا (أنزل عليه) على النبى صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبى فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى

الامر) لقضي أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم ما يلبسون) ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم وألبسته اذا أشبهته وأشكلته عليهم ثم سلى نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل والدال مكسورة عند أبي عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن ما في السموات والارض) من استفهام وما بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره (قل لله) تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا منه شيأ الى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره اذ لا يجب على الله شيء للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا مؤكدا وهو منجزه لا محالة وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط ثم أوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة) فيجازيكم على اشراككم (لا ريب فيه) في اليوم أو في الجمع (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أي أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر (فهم لا يؤمنون) وقال الاخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم أي ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الاول لان سيبويه قال لا يجوز مررت بي المسكين ولا بك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الياء أو الكاف لانهما في غاية الوضوح فلا يحتاجان الى البدل والتفسير (وله) عطف على لله (ما سكن في الليل والنهار) من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكون ومعناه ما سكن وتحرك فيهما فاكتفى باحد الضدين عن الآخر كقوله تقيكم الحر أي الحر والبرد وذكر السكون لانه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا أنه خالق الكل

ومدبره (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل عليه الملوان (قل أغير الله أتخذ وليا) ناصرا ومعبودا وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما أدخل همزة الاستفهام على مفعول أتخذ لا عليه لان الانكار فى اتخاذ غير الله وليا لا فى اتخاذ الولى فكان أحق بالتقديم (فاطر السموات والارض) بالجر صفة لله أى مخترعهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الىّ أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها (وهو يطعم ولا يُطعم) وهو يرزق ولا يرزق أى المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) لان النبى سابق أمته فى الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (ولا تكونن من المشركين) وقيل لى لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظا لقيل وأن لا أكون والمعنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) أى انى أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة ان عصيت ربى فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به محذوف الجواب (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهى النجاة من يصرف حمزة وعلى وأبو بكر أى من يصرف الله عنه العذاب (وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه (فلا كاشف له الا هو) فلا قادر على كشفه الا هو (وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شئ قدير) فهو قادر على ادامته وازالته (وهو القاهر) مبتدأ وخبر أى الغالب المقتدر (فوق عباده) خبر بعد خبر أى عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه (وهو الحكيم) فى تنفيذ مراده (الخبير) بأهل القهر من عباده (قل أى شئ أكبر شهادة) أى شئ مبتدأ وأكبر خبره وشهادة تمييز وأى كلمة يراد بها بعض ما تضاف اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت اليه وقوله (قل الله) جواب أى الله أكبر شهادة فالله مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم الشئ على الله تعالى وهذا لان الشئ اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيأ ولذا تقول الله تعالى شئ لا كالاشياء ثم ابتدأ (شهيد بينى وبينكم) أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز أن يكون الجواب الله شهيد بينى وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فأكبر شئ شهادة شهيد له (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) أى ومن بلغه القرآن الى قيام الساعة فى الحديث من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن فى محل النصب بالعطف على كم والمراد به أهل مكة والعائد اليه محذوف أى ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير القرآن (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استفهام انكار وتبكيت (قل لا أشهد) بما تشهدون وكرر (قل) توكيدا (انما هو إله واحد) ما كافة لان عن العمل وهو مبتدأ وإله خبره وواحد صفة أو بمعنى الذى فى محل النصب بان وهو مبتدأ وإله خبره والجملة صلة الذى وواحد خبر ان وهذا الوجه أوقع (وانني برئ مما تشركون) به (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل

(يعرفونه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت فى الكتابين (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به. وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به (ومن أظلم) استفهام يتضمن معنى النفى أى لا أحد أظلم لنفسه والظلم وضع الشئ فى غير موضعه وأشنعه اتخاذ المخلوق معبودا (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فيصفه بما لا يليق به (أو كذب بآياته) بالقرآن والمعجزات (انه) ان الامر والشأن (لا يفلح الظالمون) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا الملائكة بنات الله وسموا القرآن والمعجزات سحرا (ويوم نحشرهم) هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم (جميعا) حال من ضمير المفعول (ثم نقول للذين أشركوا) مع الله غيره توبيخا وبالياء فيهما يعقوب (أين شركاؤكم) آلهتكم التى جعلتموها شركاء الله (الذين كنتم تزعمون) أى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان (ثم لم تكن) وبالياء حمزة وعلى (فتنتهم) كفرهم (الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) يعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه الا الجحود والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به أو ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمى فتنة لانه كذب وبرفع الفتنة مكى وشامى وحفص فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر أى لم تكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أى لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة ربنا حمزة وعلى على النداء أى يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فاذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) إلهيته وشفاعته (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدرى ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان انى لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع من السمع ووحد الوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا فى الاصلح على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) حتى هى التى تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون

جارة ويكون اذا جاؤك في موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسيره له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك وينا كرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا أساطير الاولين) فيجعلون كلام الله أكاذيب وواحد الاساطير اسطورة (وهم) أى المشركون (ينهون عنه) ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول واتباعه والايمان به (وينأون عنه) ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم ومايشعرون) أى لايتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل عنى به أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبه (ولو ترى) حذف جوابه أى ولو ترى لشاهدت أمرا عظيما (اذ وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار (فقالوا ياليتنا نرد) الى الدنيا تمنوا الرد الى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنيهم ثم ابتدؤا بقوله (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن ولا نكذب ونكون حمزة وعلى وحفص على جواب التمنى بالواو وباضمار أن ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما في ونكون شامى (بل) للاضراب عن الوفاء بما تمنوا (بدالهم) ظهر لهم (ما كانوا يخفون) من الناس (من قبل) فى الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وقيل هو فى المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرونه أو فى أهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أى ولو ردوا للكفر واولقالوا (ان هى الا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة أو على قوله وانهم لكاذبون أى وانهم لقوم كاذبون فى كل شئ وهم الذين قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وهى كناية عن الحياة أو هو ضمير القصة (وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده ليعاتبه أو وقفوا على جزاء ربهم (قال) جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا) أى البعث (بالحق) بالكائن الموجود وهذا تعبير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ماهو بحق (قالوا بلى وربنا) أقروا وأكدوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها أو هو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية (حتى) غاية لكذبوا لا لخسروا لان خسرانهم لا غاية له (اذا جاءتهم الساعة) أى القيامة لان مدة تأخرها مع تأبد مابعدها كساعة واحدة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال يعنى باغتة أو على المصدر لانه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهى ورود الشئ على صاحبه من غير علمه بوقته (قالوا ياحسرتنا)

نداء تفجع معناه يا حسرة احضري فهذا أوانك (على ما فرطنا) تحسرنا (فيها) في الحياة الدنيا أو في الساعة أي قصرنا في شأنها وفي الايمان بها (وهم يحملون أوزارهم) آثامهم (على ظهورهم) خص الظهر لان المعهود حمل الاثقال على الظهور كما عهد الكسب بالايدي وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل ان الكافر اذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا عملك السيء فطالما ركبتني في الدنيا وأنا أركبك اليوم (ألا ساء ما يزرون) بئس شيأ يحملونه وأفاد ألا تعظيم ما يذكر بعده (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد الى الهزل قيل ما أهل الحياة الدنيا الا أهل لعب ولهو وقيل ما أعمال الحياة الدنيا إلا لعب ولهو لانها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة (وللدار) مبتدأ (الآخرة) صفتها ولدار الآخرة بالاضافة شامي أي ولدار الساعة الآخرة لان الشيء لا يضاف الى صفته وخبر المبتدا على القراءتين (خير للذين يتقون) وفيه دليل على ان ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو (أفلا يعقلون) بالتاء مدني وحفص ولما قال أبو جهل ما نكذبك يا محمد وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جئت به نزل (قد نعلم انه) الهاء ضمير الشان (ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك) لا ينسبونك الى الكذب وبالتخفيف نافع وعلى من أكذبه اذا وجده كاذبا (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) من اقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على انهم ظلموا في جحودهم والباء يتعلق بيجحدون أو بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعنى ان تكذيبك أمر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله لان تكذيب الرسل تكذيب المرسل (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانوني (فصبروا) والصبر حبس النفس على المكروه (على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم (حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون انا لننصر رسلنا (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وأجاز الاخفش أن تكون من زائدة والفاعل نبأ المرسلين وسيبويه لا يجيز زيادتها في الواجب كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم ويحب مجيء الآيات ليسلموا فنزل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت أن تبتغي نفقا) منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (في الارض) صفة لنفقا (أو سلما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان اسطعت وجوابها جواب وان كان كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتى بها رجاء

ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لم يشأ ان يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أى انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (والموتى) مبتدأ أى الكفار (يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وقالوا لولا نزل عليه) هلا أنزل عليه (آية من ربه) كما نقترح من جعل الصفا ذهبا وتوسيع أرض مكة وتفجير الانهار خلالها (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على أن ينزل تلك الآية أو لا يعلمون ما عليهم فى الآية من البلاء لو أنزلت (وما من دابة) هى اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث (فى الارض) فى موضع جر صفة لدابة (ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناحين لنفى المجاز لان غير الطائر قد يقال فيه طار اذا أسرع (الا أمم أمثالكم) فى الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها (ما فرطنا) ما تركنا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (من شئ) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شئ أى من شئ يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة ودلالة واقتضاء (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا وانما قال الأمم مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادى على عظمته قال (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون كلام المنبه (وبكم) لا ينطقون بالحق خابطون (فى الظلمات) أى ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفى الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بأنه فعال لما يريد (من يشأ الله يضلله) أى من يشأ الله ضلاله يضله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة خلق الافعال وارادة المعاصى ونفى الاصلح (قل أرأيتكم) وبتليين الهمزة مدنى وبتركه على ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبرونى بما عندكم والضمير الثانى لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم (ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أغير الله تدعون) أى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (ان كنتم صادقين) فى ان الاصنام آلهة فادعوها لتخلصكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أى ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد أن يتفضل عليكم (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم أو لا تذكرون آلهتكم فى ذلك الوقت لان أذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله

محذوف أى فشأنه أنه غفور رحيم أنه فانه مدنى الاول بدل الرحمة والثانى مبتدأ انه فانه غيرهم على الاستئناف كان الرحمة أستفسرت فقيل انه من عمل منكم (وكذلك نفصل الآيات واستبين) وبالياء حمزة وعلى وأبو بكر (سبيل المجرمين) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكر وتؤنث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها فى صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى صرفت وزجرت بادلة العقل والسمع عن عبادة ماتعبدون من دون الله (قل لا أتبع أهواءكم) أى لا أجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا فى الضلال (قد ضللت اذا) أى ان اتبعت أهواءكم فاناضال (وما أنا من المهتدين) وما أنا من المهتدين فى شئ يعنى أنتم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على مايجب اتباعه بقوله (قل انى على بينة من ربى) أى انى من معرفة ربى وانه لا معبود سواه على حجة واضحة (وكذبتم به) حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهو القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن ثم عقبه بما دل على انهم أحقاء بان يعاقبوا بالعذاب فقال (ماعندى ماتستعجلون به) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا لله) فى تأخير عذابكم (يقص الحق) حجازى وعاصم أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقون يقض الحق فى كل مايقضى من التأخير والتعجيل فالحق أى القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله (وهو خير الفاصلين) أى القاضين بالقضاء الحق اذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قل لو أن عندى) أى فى قدرتى وامكانى (ماتستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بينى وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب فى وقت يعلم أنه أردع (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهى خزائن العذاب والرزق أو ماغاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى مافى الخزائن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل اليها فاراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده لايتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى مافى المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح العيب فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه (ويعلم مافى البر) من النبات والدواب (والبحر) من الحيوان والجواهر وغيرهما (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) ماللنفى ومن للاستغراق أى يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده (ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة

وداخل فى حكمها وقوله (الا فى كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها الا ان معنى الا يعلمها ومعنى الا فى كتاب مبين واحد وهو علم الله أو اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام فى المنام (ويعلم ما جرحتم بالنهار) كسبتم فيه من الآثام (ثم يبعثكم فيه) ثم يوقظكم فى النهار أو التقدير ثم يبعثكم فى النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه أنه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا أنه لا يتوفانا بالنهار فدل ان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه (ليقضى أجل مسمى) لتوفى الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فى ليلكم ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التى تحيا بها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد بالارواح المعانى والقوى التى تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشى والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أى يوقظكم ويرد اليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكرى البعث لانه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها اليها فكذا يحيى الانفس بعد موتها (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا ان صحائفهم تقرأ على رؤس الاشهاد (حتى اذا جاء أحدكم الموت) حتى لغاية حفظ الاعمال أى وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة الى أن يأتيه الممات (توفته رسلنا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه توفيه واستوفيه بالامالة حمزة رسلنا أبو عمرو (وهم لا يفرطون) لا يتوانون ولا يؤخرون (ثم ردوا الى الله) إلى حكمه وجزائه أى رد المتوفون برد الملائكة (مولاهم) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم (الحق) العدل الذى لا يحكم الا بالحق وهما صفتان لله (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق فى مقدار حلب شاة وقيل الرد الى من رباك خير من البقاء مع من آذاك (قل من ينجيكم) ينجيكم عباس (من ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما أو ظلمات البر الصواعق والبحر الامواج وكلاهما فى الغيم والليل (تدعونه) حال من ضمير المفعول فى ينجيكم (تضرعا) معلنين الضراعة وهو مصدر فى موضع الحال وكذا (وخفية) أى مسرين فى أنفسكم خفية حيث كان أبو بكر وهما الغتان (لئن أنجانا) عاصم وبالامالة حمزة وعلى الباقون أنجيتنا والمعنى يقولون لئن خلصنا (من هذه) الظلمات (لنكونن من الشاكرين) لله تعالى (قل الله ينجيكم) بالتشديد كوفى (منها) من الظلمات (ومن كل كرب) وغم وحزن (ثم أنتم تشركون) ولا تشكرون (قل هو القادر) هو الذى عرفتموه قادرا أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس (على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كأمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة (أو من تحت أرجلكم) كما غرق فرعون وخسف بقارون أو من قبل سلاطينكم وسفلتكم أو هو حبس المطر

والنبات (او يلبسكم شيعا) او يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقتل بعضكم بعضا والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى ان لا يبعث على أمتى عذابا من فوقهم او من تحت أرجلهم فأعطانى ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى وأخبرنى جبريل ان فناء أمتى بالسيف (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به) بالقرآن او بالعذاب (قومك) قريش (وهو الحق) اى الصدق أولا بد أن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى أمركم انما أنا منذر (لكل نبا) لكل شئ ينبأ به يعنى انباءهم بأنهم يعذبون وايعادهم به (مستقر) وقت استقرار وحصول لا بد منه (وسوف تعلمون) تهديد (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) اى القرآن يعنى يخوضون فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) ولا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز أن تجالسهم (واما ينسينك الشيطان) ما نهيت عنه ينسينك شامى نسى وأنسى واحد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكر (مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم) من حساب هؤلاء الذين يخوضون فى القرآن تكذيبا واستهزاء (من شئ) اى وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شئ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم أن يذكروهم (ذكرى) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم ومحل ذكرى نصب اى ولكن يذكرونهم ذكرى أى تذكيرا او رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدأ والخبر محذوف (لعلهم يتقون) لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم (وذر الذين اتخذوا دينهم) الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام (لعبا ولهوا) سخروا به واستهزؤا ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم واللهو ما يشغل الانسان من هوى أو طرب (وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به) وعظ بالقرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الابسال المنع (ليس لها من دون الله ولى) ينصرها بالقوة (ولا شفيع) يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسبت فى الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) نصب على المصدر وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى بمثله وفاعل (لا يؤخذ منها) لاضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه (اولئك) اشارة الى المتخذين من دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ والخبر (الذين أبسلوا بما كسبوا) وقوله (لهم شراب من حميم) اى ماء سخين حار خبر ثان لاولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم او مستأنف (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) بكفرهم (قل) لابى بكر يقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعوا أباه الى عبادة الاوثان

(اندعوا)

(أندعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع (مالا ينفعنا) مالا يقدر على نفعنا ان دعوناه (ولا يضرنا) ان تركناه (ونرد) وأنرد (على أعقابنا) راجعين الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) للاسلام وأنقذنا من عبادة الاصنام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف في محل النصب على الحال من الضمير فى نرد على أعقابنا أى أننكس مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه (فى الارض) فى المهمه (حيران) حال من مفعول استهوته أى تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع (له) لهذا المستهوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبنى على ما يقال ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل أمرنا (لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلوة) والتقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولاقامة الصلاة (واتقوه وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة أو محقا (و يوم يقول كن فيكون) على الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ و يوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أى لا يكون شئ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخبر (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (فى الصور) هو القرن بلغة اليمن أو جمع صورة (عالم الغيب) هو عالم الغيب (والشهادة) أى السر والعلانية (وهو الحكيم) فى الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والجزاء (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو اسم أبيه أو لقبه لانه خلاف بين النسابين ان اسم أبيه تارخ وهو عطف بيان لابيه وزنه فاعل (أتتخذ أصناما آلهة) استفهام توبيخ أى أتتخذها آلهة وهى لا تستحق الالهية (انى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك) أى وكما أريناه قبح الشرك (نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) أى نرى بصيرته لطائف خلق السموات والارض ونرى حكاية حال ماضية والملكوت أبلغ من الملك لان الواو والتاء تزادان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى ما فيهن (وليكون من الموقنين) فعلنا ذلك أو ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما أيقن بيانا (فلما جن عليه الليل) أى أظلم وهو عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رأى كوكبا) أى الزهرة أو المشترى وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام

والشمس والقمر والكواكب فاراد أن ينبههم على الخطا فى دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيأ منها ليس بالله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه (قال هذا ربى) أى قال لهم هذا ربى فى زعمكم أو المراد أهذا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكتفى عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه أدعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (فلما أفل) غاب (قال لا أحب الآفلين) أى لا أحب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا فى الطلوع (قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين) نبه قومه على ان من اتخذ القمر إلها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاج (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) وانما ذكره لانه أراد الطالع أولانه جعل المبتدأ مثل الخبر لانهما شئ واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث ولهذا قالوا فى صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان الثانى أبلغ فاديا من علامة التأنيث (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون) من الاجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله تعالى والاول أظهر لقوله ياقوم انى برىء مما تشركون (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) أى للذى دلت هذه المحدثات على انه منشئها (حنيفا) حال أى مائلا عن الاديان كلها الا الاسلام (وما أنا من المشركين) بالله شيأ من خلقه (وحاجه قومه) فى توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قال أتحاجونى فى الله) فى توحيده أتحاجونى مدغما وابن ذكوان (وقد هدان) الى التوحيد وبالياء فى الوصل أبو عمرو ولما خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال (ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ) أى لا أخاف معبوداتكم فى وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى أن يصيبنى منها بضر فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء ضرا لا الاصنام (وسع ربى كل شئ علما) فلا يصيب عبدا شئ من ضر أو نفع الا بعلمه (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) معبوداتكم وهى مأمونة الخوف (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به) باشراكه (عليكم سلطانا) حجة اذ الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى وما لكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن فى موضع الخوف (فأى الفريقين) أى فريقى الموحدين والمشركين (أحق بالامن) من العذاب (ان كنتم تعلمون) ولم يقل فاينا احترازا من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) بشرك عن الصديق رضى الله عنه (أولئك لهم

الامن وهم مهتدون) ثم كلام ابراهيم عليه السلام (وتلك حجتنا) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى وهم مهتدون (آتيناها ابراهيم على قومه) وهو خبر بعد خبر (نرفع درجات من نشاء) في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي وفيه نقض قول المعتزلة في الاصلح (ان ربك حكيم) بالرفع (عليم) بالاهل (ووهبنا له) لابراهيم (اسحاق ويعقوب كلا هدينا) أي كلهم وانتصب كلا بهدينا (ونوحا هدينا) أي وهدينا نوحا (من قبل) من قبل ابراهيم (ومن ذريته) الضمير لنوح أولابراهيم والاول أظهر لان يونس ولوطا لم يكونا من ذرية ابراهيم (داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) والتقدير وهدينا من ذريته هؤلاء (وكذلك نجزي المحسنين) ونجزي المحسنين جزاء مثل ذلك فالكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف (وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل) أي كلهم (من الصالحين) وذكر عيسى معهم دليل على ان النسب يثبت من قبل الام أيضا لانه جعله من ذرية نوح عليه السلام وهو لا يتصل به الا بالام وبذا أجيب الحجاج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبي عليه السلام (واسمعيل واليسع) واليسع حيث كان بلامين حمزة وعلي (ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوة والرسالة (ومن آبائهم) في موضع النصب عطفا على كلا أي وفضلنا بعض آبائهم (وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) أي ما دان به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله (يهدي به من يشاء من عباده) فيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا (ولو أشركوا) مع فضلهم ونقدمهم ومارفع لهم من الدرجات العلى (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكم) والحكمة أو فهم الكتاب (والنبوة) وهي أعلى مراتب البشر (فان يكفر بها) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن (هؤلاء) أي أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبي عليه السلام أو كل من آمن به أو العجم ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في (ليسوا بها) صلة كافرين وفي (بكافرين) لتأكيد النفي (أولئك الذين هدى الله) أي الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة والهاء في اقتده للوقف تسقط في الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف ويحذفها حمزة وعلي في الوصل ويختلسها شامي (قل لا أسئلكم عليه) على الوحي أو على تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد (أجرا) جعلا وفيه دليل على أن أخذ الاجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز (ان هو الا ذكرى للعالمين) ما القرآن الا عظة للجن والانس (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) أي ما عرفوه حق معرفته في الرحمة

على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من أعظم رحمته وما أرسلناك الا رحمة للعالمين روى أن جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف كانوا يجادلون النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام له أليس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شئ وحق قدره منصوب نصب المصدر (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا) حال من الضمير فى به او من الكتاب (وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء و بالياء فى الثلاثة مكى وأبو عمرو (وعلمتم) يا أهل الكتاب بالكتاب (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم من أمور دينكم ودنياكم (قل الله) جواب اى أنزله الله فانهم لا يقدرون أن ينا كروك (ثم ذرهم فى خوضهم) فى باطلهم الذى يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم او من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذى بين يديه) من الكتب (ولتنذر) و بالياء أبو بكر اى الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب ولانذار (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لانها سرة الارض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنا ولان الناس يؤمونها (ومن حولها) أهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون به) بهذا الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وهم على صلاتهم يحافظون) خصت الصلاة بالذكر لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على اخواتها ظاهرا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) هو مالك بن الصيف (او قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) هو مسيلمة الكذاب (ومن قال) فى موضع جر عطف على من افترى أى وممن قال (سأنزل مثل ما أنزل الله) اى سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح كاتب الوحى وقد أملى النبي عليه السلام عليه ولقد خلقنا الانسان الى خلقا آخر فجرى على لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد أوحى الى كما أوحى اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة او النضر بن الحرث كان يقول والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات خبزا كانه يعارض (ولو ترى) جوابه محذوف اى لرأيت أمرا عظيما (اذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله (فى غمرات الموت) شدائده وسكراته (والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم) اى يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن التشديد فى الازهاق من غير تنفيس وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه (بما كنتم

تقولون على الله غير الحق) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر محذوف أى قولا غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كاسير وأسارى (كما خلقناكم) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى مجيئا مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهيآت التى ولدتم عليها فى الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ملكناكم (وراء ظهوركم) ولم تحتملوا منه نقيرا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) فى استعبادكم (لقد تقطع بينكم) وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجر قال

فوالله لولا البين لم يكن الهوى * ولولا الهوى ما حن للبين آلف

بينكم مدنى وعلى وحفص أى وقع التقطع بينكم (وضل عنكم) وضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) انها شفعاؤكم عند الله (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر أى فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة والفلق الشق وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة (يخرج الحى من الميت) النبات الغض النامى من الحب اليابس (ومخرج الميت من الحى) الحب اليابس من النبات النامى أو الانسان من النطفة والنطفة من الانسان أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لانهم أنكروا البعث فاعلمهم أنه الذى خلق هذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم وانما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف على فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان دليله قوله ويحيى الارض بعد موتها (ذلكم الله) ذلكم المحيى والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية لا الاصنام (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره بعد وضوح الامر بما ذكرنا (فالق الاصباح) هو مصدر سمى به الصبح أى شاق عمود الصبح عن سواد الليل أو خالق نور النهار (وجاعل الليل) وجعل الليل كونى لان اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سكنا) مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه أى ليسكن فيه الخلق عن كد المعيشة الى نوم الغفلة أو عن وحشة الخلق الى الانس بالحق (والشمس والقمر) انتصبا باضمار فعل يدل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حسبانا) أى جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل بالبر وبالبحر وأضافها اليهما لملابستها أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) قد بينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (هو

الذى أنشأكم من نفس واحدة) هى آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) فمستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) وانما قيل يعلمون ثم ويفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق (وهو الذى أنزل من السماء ماء) هو السحاب مطرا (فاخرجنا به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف النامى أى السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخرجنا منه) من النبات (خضرا) أى شيأ غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل الذى تراكب حبه (ومن النخل من طلعها قنوان) هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان (دانية) من المجتنى لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها وفيها اكتفاء أى وغير دانية لطولها كقوله سرابيل تقيكم الحر (وجنات) بالنصب عطفا على نبات كل شئ أى وأخرجنا به جنات (من أعناب) أى مع النخل وكذا (والزيتون والرمان) وجنات بالرفع الاعشى أى وثم جنات من أعناب أى مع النخل (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيآن وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعنى بعضه متشابه وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به (وينعه) ونضجه أى انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيأ جامعا لمنافع نظرا اعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ثمره وكذا ما بعده حمزة وعلى جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر (وجعلوا لله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعولى جعلوا كان الجن بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا او غير ذلك والمعنى انهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله (وخلقهم) أى وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) أى اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أو هو من خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين فى المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب فى الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رميا يقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشئ فهو

بديع وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون له ولد (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) أى ما من شئ الا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شئ والولد انما يطلبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ) وقوله (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أى من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شئ وكيل) أى هو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال (لا تدركه الابصار) لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لان المنفى هو الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المرئى وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فتنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفى الاحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفى العلم به فكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية اذ نفى ادراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية اذا نتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهى والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التقصى عن عهدتها ومن ينفى الرؤية يلزمه نفى انه معلوم موجود والا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئى وهذا لان الرؤية تحقق الشئ بالبصر كما هو فان كان المرئى فى الجهة يرى فيها وان كان لا فى الجهة يرى لا فيها (وهو) للطف ادراكه (يدرك الابصار وهو اللطيف) أى العالم بدقائق الامور ومشكلاتها (الخبير) العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصيرة نور القلب الذى به يستبصر القلب كما ان البصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر وإياها نفع (ومن عمى) عنه وضل (فعليها) فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) احفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم الكاف فى (وكذلك نصرف الآيات) فى موضع نصب صفة المصدر المحذوف أى نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا عليك (وليقولوا) جوابه محذوف أى وليقولوا (درست) نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب دارست مكى وأبو عمرو أى دارست أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الاولين (ولنبينه) أى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الآيات لانها فى معنى القرآن

الذى أنشأكم من نفس واحدة) هى آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) فمستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) وانما قيل يعلمون ثم ويفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق (وهو الذى أنزل من السماء ماء) هو السحاب مطرا (فاخرجنا به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف النامى أى السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخرجنا منه) من النبات (خضرا) أى شيأ غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل الذى تراكب حبه (ومن النخل من طلعها قنوان) هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان (دانية) من المجتنى لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها وفيها كتفاء أى وغير دانية لطولها كقوله سرابيل تقيكم الحر (وجنات) بالنصب عطفا على نبات كل شئ أى وأخرجنا به جنات (من أعناب) أى مع النخل وكذا (والزيتون والرمان) وجنات بالرفع الاعشى أى وثم جنات من أعناب أى مع النخل (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيآن وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعنى بعضه متشابه وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به (وينعه) ونضجه أى انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيأ جامعا للمنافع نظرا اعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ثمره وكذا ما بعده حمزة وعلى جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر (وجعلوا لله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعولى جعلوا كان الجن بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا او غير ذلك والمعنى انهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله (وخلقهم) أى وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) أى اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أو هو من خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين فى المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب فى الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشئ فهو

بديع وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون له ولد (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) أى ما من شئ الا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شئ والولد انما يطلبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ) وقوله (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أى من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شئ وكيل) أى هو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال (لا تدركه الابصار) لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لان المنفى هو الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المرئى وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفى الاحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفى العلم به فكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية اذ نفى ادراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية اذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهى والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التقصى عن عهدتها ومن ينفى الرؤية يلزمه نفى انه معلوم موجود والا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئى وهذا لان الرؤية تحقق الشئ بالبصر كما هو فان كان المرئى فى الجهة يرى فيها وان كان لا فى الجهة يرى لا فيها (وهو) للطف ادراكه (يدرك الابصار وهو اللطيف) أى العالم بدقائق الامور ومشكلاتها (الخبير) العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصيرة نور القلب الذى به يستبصر القلب كما ان البصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر وإياها نفع (ومن عمى) عنه وضل (فعليها) فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) احفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم الكاف فى (وكذلك نصرف الآيات) فى موضع نصب صفة المصدر المحذوف أى نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا عليك (وليقولوا) جوابه محذوف أى وليقولوا (درست) نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب دارست مكى وأبو عمرو أى دارست أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الاولين (ولنبينه) أى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الآيات لانها فى معنى القرآن

قيل اللام الثانية حقيقة والاولى لام العاقبة والصيرورة اى لتصير عاقبة أمرهم الى أن يقولوا درست وهو كقولك فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم الى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف (لقوم يعلمون) الحق من الباطل (اتبع ما أوحى اليك من ربك) ولا تتبع أهواءهم (لا اله الا هو) اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب او حال من ربك مؤكدة (وأعرض عن المشركين) فى الحال الى أن يرد الامر بالقتال (ولو شاء الله) اى ايمانهم فالمفعول محذوف (ما أشركوا) بين انهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته (وما جعلناك عليهم حفيظا) مراعيا لاعمالهم مأخوذا باجرامهم (وما أنت عليهم بوكيل) بمسلط وكان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله بقوله (ولا تسبوا) آلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب النهى (عدوا) ظلما وعدوانا (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كذلك) مثل ذلك التزيين (زينا لكل أمة) من أمم الكفار (عملهم) وهو كقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا فى الاصلح (ثم الى ربهم مرجعهم) مصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مصدر وقع موقع الحال اى جاهدين فى الاتيان باوكد الايمان (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) وهو قادر عليها لا عندى فكيف آتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (أنها) أن الآية المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعنى أنا أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمى به من أنهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى وبصرى وأبو بكر على ان الكلام تم قبله اى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون ألبتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح كقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون لا تؤمنون شامى وحمزة (ونقلب أفئدتهم) عن قبول الحق (وأبصارهم) عن رؤية الحق عند نزول الآية التى اقترحوها فلا يؤمنون بها قيل هو عطف على لا يؤمنون داخل فى حكمه وما يشعركم اى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق (كما لم يؤمنوا به أول مرة) كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها (ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) قيل وما يشعركم أنا نذرهم فى طغيانهم يعمهون يتحيرون (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فاتوا بآبائنا (وحشرنا عليهم) جمعنا (كل شئ قبلا)

كفلاء بصحة ما بشرفا به وأنذرنا جمع قبيل وهو الكفيل قبلا مدنى وشامى أى عيانا وكلاهما نصب على الحال (ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) ايمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآية (ولكن أكثرهم يجهلون) ان هؤلاء لا يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب (شياطين الانس والجن) على البدل من عدوا أو على انه من المفعول الاول وعدوا مفعول ثان (يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا وقال عليه السلام قرناء السوء شر من شياطين الجن (زخرف القول) ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى (غرورا) خدعا وأخذا على غرة وهو مفعول له (ولو شاء ربك ما فعلوه) أى الايحاء يعنى ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه أجزل فى الثواب (فذرهم وما يفترون) عليك وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) ولتميل الى زخرف القول قلوب الكفار وهى معطوفة على غرورا أى ليغروه ولتصغى اليه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله ابتغى حكما) أى قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) حال من الكتاب أى مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له بقوله (والذين آتيناهم الكتاب) أى عبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) شامى وحفص (من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يربك جحود أكثرهم وكفرهم به (وتمت كلمت ربك) أى ما تكلم به كلمات ربك حجازى وشامى وأبو عمرو أى تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صدقا) فى وعده ووعيده (وعدلا) فى أمره ونهيه وانتصبا على التمييز أو على الحال (لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيأ من ذلك (وهو السميع) لاقرار من أقر (العليم) باصرار من أصر أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون (وان تطع أكثر من فى الارض) أى الكفار لانهم الاكثرون (يضلوك عن سبيل الله) دينه (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا يخرصون) يكذبون فى أن الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو يعلم الكفار والمؤمنين من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع

الجملة نصب بيعلم المقدر لا باعلم لان أفعل لا يعمل فى الاسم الظاهر النصب و يعمل الجر وقيل تقديره أعلم بمن يضل بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) هو مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام و يحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أى على ذبحه دون ماذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه (وما لكم ألا تأكلوا) ما استفهام فى موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أى وأى غرض لكم فى أن لا تأكلوا (مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم) بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم كوفى غير حفص و بفتحهما مدنى وحفص و بضمهما غيرهم (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم فى حال الضرورة أى شدة المجاعة الى أكله (وان كثيرا ليضلون) ليضلون كوفى (باهوائهم بغير علم) أى يضلون فيحرمون و يحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) بالمتجاوزين من الحق الى الباطل (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) علانيته وسره أو الزنا فى الحوانيت والصديقة فى السر أو الشرك الجلى والخفى (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون) يوم القيامة (بما كانوا يقترفون) يكتسبون فى الدنيا (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) عند الذبح (وانه) وان أكله (لفسق وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لا تأكلون مما قتله الله وتأكلون مما تذبحون بايديكم والآية تحريم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو بجعل الناسى ذاكرا تقديرا (وان أطعتموهم) فى استحلال ما حرمه الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله فى دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما فى الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة و بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به وقال ان الواو فى وانه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل لغير الله به فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ماسواه حلالا بالعمومات المحللة منها قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أو من كان ميتا فاحييناه) أى كافرا فهديناه لان الايمان حياة القلوب ميتا مدنى (وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس) مستضيئا به والمراد به اليقين (كمن مثله) أى صفته (فى الظلمات) أى خابط فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل المراد بهما حمزة وأبو جهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله فبين ان مثل المهتدى مثل الميت الذى أحيى وجعل مستضيئا يمشى فى الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو فى الظلمات التى لا يتخلص منها (كذلك) أى كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زينا لهم

أعمالهم (ما كانوا يعملون) أى أعمالهم (وكذلك) أى وكما جعلنا فى مكة صناديدها ليمكروا فيها (جعلنا) صيرنا (فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصى واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الاكابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعده النصرة بقوله (وما يمكرون الا بانفسهم) لان مكرهم يحيق بهم (وما يشعرون) أنه يحيق بهم أكابر مفعول أول والثانى فى كل قرية ومجرميها بدل من أكابر أو الاول مجرميها والثانى أكابر والتقدير مجرميها أكابر ولما قال أبو جهل زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به الا أن يأتينا وحى كما يأتيه نزل (واذا جاءتهم) أى الاكابر (آية) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالايمان (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أى نعطى من الآيات مثل ما أعطى الانبياء فاعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوة فقال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكى وحفص رسالاته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجرموا) من أكابرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) فى القيامة (وعذاب شديد) فى الدارين من القتل والاسر وعذاب النار (بما كانوا يمكرون) فى الدنيا (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) يوسعه وينور قلبه قال عليه السلام اذا دخل النور فى القلب انشرح وانفتح قيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (ومن يرد) أى الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا) ضيقا مكى (حرجا) صفة لضيقا مدنى وأبو بكر بالفا فى الضيق حرجا غيرهما وصفا بالمصدر (كأنما يصعد فى السماء) كأنه كلف أن يصعد الى السماء اذا دعى الى الاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضافت عليه الارض فطلب مصعدا فى السماء أو كمازب الرأى طائر القلب فى الهواء يصعد مكى يصاعد أبو بكر وأصله يتصاعد الباقون يصعد وأصله يتصعد (كذلك يجعل الله الرجس) العذاب فى الآخرة واللعنة فى الدنيا (على الذين لا يؤمنون) والآية حجة لنا على المعتزلة فى ارادة المعاصى (وهذا صراط ربك) أى طريقه الذى اقتضته الحكمة وسننه فى شرح صدر من أراد هدايته وجعله ضيقا لمن أراد ضلاله (مستقيما) عادلا مطردا أو هو حال مؤكدة (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) يتعظون (لهم) أى لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعنى الجنة أضافها الى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر أو السلام التحية سميت دار السلام لقوله تحيتهم فيها سلام الا قيلا سلاما سلاما (عند ربهم) فى ضمانه (وهو وليهم) محبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) باعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون أو هو ولينا فى الدنيا بتوفيق الاعمال وفى العقبى بتحقيق الآمال (ويوم نحشرهم جميعا) وبالياء حفص اى واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا (يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس) أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم

أتباعكم كما تقول استكثر الامير من الجنود (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم واسمعوا الى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى اغوائهم (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم (خالدين فيها) حال والعامل معنى الاضافة كقوله تعالى أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فمصبحين حال من هؤلاء والعامل فى الحال معنى الاضافة اذ معناه المماز جة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل فى شئ (الا ما شاء الله) أى يخلدون فى عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التى ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير (ان ربك حكيم) فيما يفعل باوليائه وأعدائه (عليم) باعمالهم فيجزى كلا على وفق عمله (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نتبع بعضهم بعضا فى النار أو نسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا منهم لانهم به آنس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلين فى الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أو رسلهم رسل نبينا كقوله ولوا الى قومهم منذرين (يقصون عليكم آياتى) يقرؤن كتبى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا شهدنا على أنفسنا) بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل الينا (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) بالرسل (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) تعليل أى الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن مصدرية ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظلما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عنه (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم وبه استدل أبو يوسف ومحمد رحمهما الله على أن للجن الثواب بالطاعة لانه ذكر عقيب ذكر الثقلين (وما ربك بغافل عما يعملون) بساه عنه وبالتاء شامى (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها الظلمة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (ان ما) ما بمعنى الذى (توعدون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبر ان أى لكائن (وما أنتم بمعجزين)

بفوائتين ردلقولهم من مهات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها ويقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه (انى عامل) على مكانتى التى أنا عليها أى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد دليله قوله (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أى فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف فى الانذار (انه لا يفلح الظالمون) أى الكافرون مكاناتكم حيث كان أبو بكر يكون حمزة وعلى وموضع من رفع اذا كان بمعنى أى وعلق عنه فعل العلم أونصب اذا كان بمعنى الذى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) أى وللاصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله تعالى (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) بزعمهم على وكذا ما بعده أى زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) أى لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) من انفاقهم عليها والاجراء على سدنتها روى انهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوا لله زاكيا نامیا رجعوا فجعلوه للاصنام واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها وقالوا ان الله غنى وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وفى قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله كان أولى بان يجعل له الزاكى لانه هو الذى ذرأه ثم ذم صنيعهم بقوله (ساء ما يحكمون) فى ايثار آلهتهم على الله وعما هم على ما لم يشرع لهم وموضع ما رفع أى ساء الحكم حكمهم أونصب أى ساء حكما حكمهم (وكذلك زين لكثير من المشركين) أى كما زين لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر شامى على اضافة القتل الى الشركاء أى الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ويشوبوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك (ولو شاء الله ما فعلوه) وفيه دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (فذرهم وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو وافتراءهم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرث) للاوثان (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعنون

خـدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الـكذب (وأنعام حرمت ظهورها) هى البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لايذكرون اسم الله عليها) حالة الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصـنام (افتراء عليه) هو مفعول له أو حال أى قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لايركب وقسم لايذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه (سيجزيهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا مافى بطون هـذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) كانوا يقولون فى أجنـة البحائر والسوائب ماولد منها حيا فهو خالص للذكور لايأكل منه الاناث وماولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان مافى معنى الاجنة وذكر ومحرم حـملا على اللفظ أو التاء للمبالغة كنسابة (وان يكن ميتة) أى وان يكن مافى بطونها ميتة وان تـكن ميتة أبو بكر أى وان تـكن الاجنة ميتة وان تـكن ميتة شامى على كان التامة يكن ميتة مكى لتقدم الفعل وتذكير الضمير فى (فهم فيه شركاء) لان الميتة اسم لـكل ميت ذكر أو أنثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) جزاء وصفهم الـكذب على الله فى التحليل والتحريم (انه حكيم) فى جزائهم (عليم) باعتقادهم (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر قتلوا مكى وشامى (سفها بغير علم) لخفة أحلامهم وجهالهم بان الله هو رازق اولادهم لاهم (وحرموا مارزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب (وهو الذى أنشأ) خلق (جنات) من الـكروم (معروشات) مسموكات مرفوعات (وغـير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش يقال عرشت الـكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان (والنخل والزرع مختلفا) فى اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقـدره لان النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (اكله) أكاله حجازى وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لانه معطوف عليه أو لـكل واحد (والزيتون والرمان متشابها) فى اللون (وغير متشابه) فى الطعم (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد وفائدة (اذا أثمر) أن يعـلم أن أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك (وآتوا حقه) عشره وهو حجة أبى حنيفة رحمه الله فى تعميم العشر (يوم حصاده) بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان (ولا تسرفوا) باعطاء الـكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى (انه لا يحب المسرفين) اعتراض (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمـل الاثقال وما يفرش للذبح أو الحموله الـكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانيـة من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقـكم الله) أى ما أحل الله لـكم منها ولا تحرموها كما فى الجاهلية (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه فى التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية (انه لـكم عدو مبين) فانهموه على دينـكم (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين

ومن المعز اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمرو وهما لغتان والهمزة فى (قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعى ذكورها واناثها ولا مما تحمل الاناث وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها طورا وأولادها كيفما كانت ذكورا أو اناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب آلذكرين بحرم وكذا أم الانثيين أى أم حرم الانثيين وكذا ما فى أم ما اشتملت (نبئونى بعلم) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) فى أن الله حرمه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين) منهما (حرم أم الانثيين) منهما (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أم ما تحمل أناثها (أم كنتم شهداء) أى منقطعة أى بل كنتم شهداء (اذ وصاكم الله بهذا) يعنى أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذى نحرمه تهكم بهم فى قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين) أى الذين فى علمه انهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غير أجنبى من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بانشاء الانعام لما فعهم وبا باحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتحليل والاعتراضات فى الكلام لا تساق الا للتوكيد (قل لا أجد فيما أوحى الى) أى فى ذلك الوقت أو فى وحى القرآن لان وحى السنة قد حرم غيره أو من الانعام لان الآية فى رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحى الله وشرعه لا بهوى الانفس (محرما) حيوانا حرم أكله (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الا أن يكون ميتة) الا أن يكون الشئ المحرم ميتة أن تكون مكى وشامى وحمزة ميتة شامى (أو دما مسفوحا) مصبوبا سائلا فلا يحرم الدم الذى فى اللحم والكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) نجس (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أهل لغير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أى رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمى بالفسق لتوغله فى باب الفسق (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى أكل شئ من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور

رحيم) لايؤاخذه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) أى ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) أى حرمنا عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شئ منه ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم وهى الثروب وشحوم الكلى (الا ما حملت ظهورهما) الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) أو ما اشتمل على الامعاء واحدها حاوياء أو حوية (أو ما اختلط بعظم) وهو الاليـة أو المخ (ذلك) مفعول ثان لقوله (جزيناهم) والتقدير جزيناهم ذلك (ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم تحريم الحلال ومعصية سالفنا تحليل الحرام حيث قال وعفا عنكم فالآن باشروهن (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) بهايمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) اذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) اخبارا بما سرف يقولونه (لو شاء الله) ان لانشرك (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) ولكن شاء فهذا عذرنا يعنون ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله لهم بمشيئته ولو لا مشيئته لم يكن شئ من ذلك (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى كتكذيبهم اياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشابثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا مشيئته حجة لهم على انهم معذورون به وهذا مردود لا الاقرار بالمشيئة او معنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن أى رضى الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضى ألا ترى أنه قال فلو شاء لهداكم أجمعين أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الايمان بل شاء من البعض الايمان ومن البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه (ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) تكذبون (قل فلله الحجة البالغة) عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته (فلو شاء لهداكم أجمعين) أى فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة (قل هلم شهداءكم) هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوى في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى زعموه محرما (فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدا منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم بربهم يعدلون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحرث والانعام (تعالوا) هو من الخاص الذى صار عاما

وأصله أن يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أتل ما حرم ربكم) الذى حرمه ربكم (عليكم) من صلة حرم (أن لا تشركوا به شيأ) أن مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهى (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان تحريما لترك الاحسان ذكر فى المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) من أجل فقر ومن خشيته بقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها) ما بينك وبين الخلق (وما بطن) ما بينك وبين الله ما ظهر بدل من الفواحش (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (ذلكم وصاكم به) أى المذكور مفصلا أمركم ربكم بحفظه (لعلكم تعقلون) لتعقلوا عظمها عند الله (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) الا بالخصلة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حلمه فادفعوه اليه وواحده شد كفلس وأفلس (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالسوية والعدل (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذى لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فأمر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (واذا قلتم فاعدلوا) فأصدقوا (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين (وبعهد الله) يوم الميثاق أو فى الامر والنهى والوعد والوعيد والنذر واليمين (أوفوا ذلكم) أى ما مر (وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حمزة وعلى وحفص على حذف احدى التاءين غيرهم بالتشديد أصله تتذكرون فأدغم التاء الثانية فى الذال أى أمركم به لتتعظوا (وأن هذا صراطى) ولان هذا صراطى فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى وأصله وانه على ان الهاء ضمير الشان والحديث وان على الابتداء حمزة وعلى (مستقيما) حال (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أيادى سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب سنة خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثنى عشر طريقا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات لاول شئ فى التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لتكونوا على رجاء اصابة التقوى ذكر أولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم

اذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أى اتعظوا فاتقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) أى ثم أخبركم انا آتينا أو هو عطف على قل أى ثم قل آتينا أو ثم مع الجملة تأتى بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذى أحسن) على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أى تتمة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ فى كل ما أمر به (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون اليه فى دينهم (وهدى ورحمة لعلهم) أى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) يصدقون أى بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا) أى القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه واتقوا) مخالفته (لعلكم ترحمون) انرحموا (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا او ائلا تقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أى أهل التوراة وأهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا باهل كتاب (وان كنا عن دراستهم) عن تلاوة كتبهم (لغافلين) لا علم لنا بشئ من ذلك ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن والخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجة عليهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كيلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما (أو تقولوا) كراهة ان تقولوا (لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها (وصدف عنها) أى أعرض (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) وهو النهاية فى النكاية (بما كانوا يصدفون) باعراضهم (هل ينظرون) أى أقنا بحجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فما ينتظرون فى ترك الايمان بعدها (الا أن تأتيهم الملائكة) أى ملائكة الموت لقبض أرواحهم أنيهم حمزة وعلى (أو يأتى ربك) أى أمر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لان الاتيان متشابه واتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد اليه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها) لانه ليس بايمان اختيارى بل هو ايمان دفع العذاب واليأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (أو كسبت فى ايمانها خيرا) أى اخلاصا كما لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق أيضا أو توبته وتقديره لا ينفع ايمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل (قل انتظروا) احدى الآيات الثلاث (انا منتظرون) بكم احداها (ان الذين فرقوا دينهم) اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة

كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى السواد الاعظم وفى رواية وهى ما أنا عليه وأصحابى وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فارقوا دينهم حمزة وعلى اى تركوا (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع اماما لها (لست منهم فى شئ) أى من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم (انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم على ذلك (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) تقديره عشر حسنات أمثالها الا أنه أقيم صفة الجنس المميز مقام الموصوف (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل انني هدانى ربى) ربى أبو عمرو ومدنى (الى صراط مستقيم دينا) نصب على البدل من محل الى صراط مستقيم لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم قيما كوفى وشامى وهو مصدر بمعنى القيام وصف به (ملة ابراهيم) عطف بيان (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله يا معشر قريش (قل ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى والناسك العابد أو ذبحى أو حجى (ومحياى ومماتى) وما أتيته فى حياتى وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه محياى ومماتى بسكون الياء الاول وفتح الثانى مدنى وبعكسه غيره (لا شريك له) فى شئ من ذلك (وبذلك) الاخلاص (أمرت وأنا اول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته (قل أغير الله أبغى ربا) جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اى منكرا أن أطلب ربا غيره وتقديم المفعول للاشعار بانه أهم (وهو رب كل شئ) وكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره (ولا تكسب كل نفس الا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) من الاديان التى فرقتموها (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فأمته قد خلفت سائر الامم أولان بعضهم يخلف بعضا أو هم خلفاء الله فى أرضه يملكونها ويتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض) فى الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) مفعول ثان او التقدير الى درجات أو هى واقعة موقع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة (ليبلوكم فيما آتاكم) فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقير والمالك بالمملوك (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم الى يوم القيامة

﴿سورة الاعراف مكية وهى مائتان وخمس آيات بصرى وست كوفى ومدنى﴾ .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المص) قال الزجاج المختار فى تفسيره ماقال ابن عباس رضى الله عنهما أنا الله أعلم وأفصل (كتاب) خبر مبتدا محذوف أى هو كتاب (أنزل اليك) صفته والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن فى صدرك حرج منه) شك فيه وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه أى لا شك فى أنه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهى متوجه الى الحرج وفيه من المبالغة مافيه والفاء للعطف أى هذا الكتاب أنزلته اليك فلا يكن بعد انزاله حرج فى صدرك واللام فى (لتنذر به) متعلق بانزل أى أنزل اليك لانذارك به أو بالنهى لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذا اذا أيقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكرى للمؤمنين) فى محل النصب باضمار فعلها أى لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير أو الرفع بالعطف على كتاب أى هو كتاب وذكرى للمؤمنين أو بانه خبر مبتدا محذوف أو الجر بالعطف على محل لتنذر أى للانذار وللذكرى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أى القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والهواء والبدع (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بتذكرون أى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة تتذكرون شامى (وكم) مبتدأ (من قرية) تبيين والخبر (أهلكناها) أى أردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة (فجاءها) جاء أهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا (أوهم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم باسنا بائتين أو قائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءنى زيد هو فارس بغير واو لانه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفى عطف لان واو الحال هى واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان لانهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا أى ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون (فما كان دعواهم) دعاؤهم وتضرعهم (اذ جاءهم بأسنا) لما جاءهم وأوائل العذاب (الا أن قالوا انا كنا ظالمين) اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وأن قالوا الخبر ويجوز العكس (فلنسئلن الذين أرسل اليهم) أرسل مسند الى اليهم أى فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم عما أجابوا به رسلهم (ولنسئلن المرسلين) عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين

باحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير اذ أفاهوا بالسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (والوزن) أى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره (يومئذ) أى يوم يسأل الله الامم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين (الحق) أى العدل صفته ثم قيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل والله أعلم بكيفيته (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان أو موزون أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات أو ما توزن به حسناتهم (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) هم الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون فى ميزانهم خير فتخف موازينهم (فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها فى غير موضعها أى جحودها وترك الانقياد لها (ولقد مكناكم فى الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو مكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء لانها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همز تشبيها بصحائف (قليلا ما تشكرون) مثل قليلا ما تذكرون (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم عليه السلام (قال ما منعك أن لا تسجد) ما رفع أى أى شئ منعك من السجود ولا زائدة بدليل ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم (اذ أمرتك) فيه دليل على أن الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام (قال أنا خير منه خلقتنى من نار) وهى جوهر نورانى (وخلقته من طين) وهو ظلمانى وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار وفى النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة الممالك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مئنة الامانة والانماء والطين يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقول نافى القياس أول من قاس ابليس قياس على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للامر المنصوص فكان الجواب لما منعك أن يقول منعنى كذا وانما قال أنا خير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب كانه قال منعنى من السجود فضلى عليه وزيادة عليه وهى انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجود المفاضل للفضول خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة أو من السماء لانه كان فيها وهى مكان المطيعين

﴿سورة الاعراف مكية وهى مائتان وخمس آيات بصرى وست كوفى ومدنى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المص) قال الزجاج المختار فى تفسيره ماقال ابن عباس رضى الله عنهما أنا الله أعلم وأفصل (كتاب) خبر مبتدا محذوف أى هو كتاب (أنزل اليك) صفته والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن فى صدرك حرج منه) شك فيه وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه أى لاشك فى أنه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهى متوجه الى الحرج وفيه من المبالغة مافيه والفاء للعطف أى هذا الكتاب أنزلته اليك فلا يكن بعد انزاله حرج فى صدرك واللام فى (لتنذر به) متعلق بانزل أى أنزل اليك لانذارك به أو بالنهى لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذا اذا أيقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكرى للمؤمنين) فى محل النصب باضمار فعلها أى لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير أو الرفع بالعطف على كتاب أى هو كتاب وذكرى للمؤمنين أو بانه خبر مبتدا محذوف أو الجر بالعطف على محل لتنذر أى للانذار وللذكرى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أى القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والهواء والبدع (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بتذكرون أى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة تتذكرون شامى (وكم) مبتدأ (من قرية) تبيين والخبر (أهلكناها) أى أردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة (فجاءها) جاء أهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا (أوهم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم باسنا بائتين أو قائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءنى زيد هو فارس بغير واو لانه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفى عطف لان واو الحال هى واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان لانهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا أى ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون (فما كان دعواهم) دعاؤهم وتضرعهم (اذ جاءهم بأسنا) لما جاءهم أوائل العذاب (الا أن قالوا انا كنا ظالمين) اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وأن قالوا الخبر ويجوز العكس (فلنسئلن الذين أرسل اليهم) أرسل مسند الى اليهم أى فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم عما أجابوا به رسلهم (ولنسئلن المرسلين) عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين

باحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا بالسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (والوزن) أى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره (يومئذ) أى يوم يسأل الله الامم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين (الحق) أى العدل صفته ثم قيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل والله أعلم بكيفيته (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان أو موزون أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات أو ما توزن به حسناتهم (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) هم الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون فى ميزانهم خير فتخف موازينهم (فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها فى غير موضعها أى جحودها وترك الانقياد لها (ولقد مكناكم فى الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو مكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء لانها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همز تشبيها بصحائف (قليلا ما تشكرون) مثل قليلا ما تذكرون (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم عليه السلام (قال ما منعك أن لا تسجد) ما رفع أى أى شئ منعك من السجود ولا زائدة بدليل ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم (اذ أمرتك) فيه دليل على أن الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام (قال أنا خير منه خلقتنى من نار) وهى جوهر نورانى (وخلقته من طين) وهو ظلمانى وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار وفى النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مئنة الامانة والانماء والطين يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقول نافى القياس أول من قاس ابليس قياس على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للامر المنصوص فكان الجواب لما منعك أن يقول منعنى كذا وانما قال أنا خير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب كانه قال منعنى من السجود فضلى عليه وزيادة عليه وهى انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجود المفاضل للفاضل خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة أو من السماء لانه كان فيها وهى مكان المطيعين

والمتواضعين والفاء فى فاهبط جواب لقوله أما خير منه أى ان كنت تتكبر فاهبط (فما يكون لك) فما يصح لك (أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل انسان ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار (قال أنظرنى الى يوم يبعثون) أمهلنى الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة (قال انك من المنظرين) الى النفخة الاولى وانما أجيب الى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الاحباب أى هذا برى بمن يسيئنى فكيف بمن يحبنى وانما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه فى الحال علمه بحلم ذى الجلال (قال فبما أغويتنى) أضللتنى أى فبسبب اغوائك اياى والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك أقسم أو تكون الباء للقسم أى فاقسم باغوائك (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) لاعترضن لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أى على الظهر وعن طاوس انه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل قدرى فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى وهو يقول أنا أغوى نفسى (ثم لآتينهم من بين أيديهم) أشككهم فى الآخرة (ومن خلفهم) أرغبهم فى الدنيا (وعن أيمانهم) من قبل الحسنات (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعنى ثم لآتينهم من الجهات الاربع التى يأتى منها العدو فى الاغلب وعن شقيق ما من صباح الا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد من بين يدى فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فاقرأ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وعن يمينى فيأتينى من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين وعن شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال فى الاولين من لابتداء الغاية وفى الاخيرين عن لان عن تدل على الانحراف (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين قاله ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه أو سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى اياهم (قال اخرج منها) من الجنة أو من السماء (مذؤما) معيبا من ذأمه اذا ذمه والذأم والذم العيب (مدحورا) مطرودا مبعدا من رحمة الله واللام فى (لمن تبعك منهم) موطئة للقسم وجوابه (لاملأن جهنم) وهو سادمسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أجمعين ويا آدم) وقلنا يا آدم بعد اخراج ابليس من الجنة (اسكن أنت وزوجك الجنة) اتخذها مسكنا (فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا) فتصيرا (من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متئد ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) ليكشف لهما

ماستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور وأنه لم يزل مستقبحا فى الطباع والعقول فان قلت مالواو المضمومة فى ووري لم تقلب همزة كما فى أويصل تصغير واصل وأصله وويصل فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالف وارى فكما لم يجب همزها فى واعد لم يجب فى ووري وهذا لان الواوين اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل مالا يكون فيهما اذا كانت الثانية ساكنة وهذا مدرك بالضرورة فالتزموا ابدالها فى موضع الثقل لا فى غيره وقرأ عبد الله أوري بالقلب (وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين) الا كراهة أن تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرئ ملكين لقوله وملك لا يبلى (أو تكونا من الخالدين) من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين (وقاسمهما) واقسم لهما (انى لكما لمن الناصحين) وأخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكانهما من اثنين (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة (بغرور) بما غرهما به من القسم بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله انخدع عنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها وهى السنبلة أو الكرم (بدت لهما سوآتهما) ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار أى كالظفر بياضا فى غاية اللطف واللين فبقى عند الاظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم (وطفقا) وجعلا يقال طفق يفعل كذا أى جعل (يخصفان عليهما من ورق الجنة) يجعلان على عوراتهما من ورق التين أو الموز ورقة فوق ورقة ليستترا بها كما تخصف النعل (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطا وروى أنه قال لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما ظننت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا بكد يمين وعرق جبين فاهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وطحن وخبز (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فيه دليل لنا على المعتزلة لان الصغائر عندهم مغفورة (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لان ابليس هبط من قبل ويحتمل انه هبط الى السماء ثم هبطوا جميعا الى الارض (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال أى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه (ولكم فى الارض مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع) وانتفاع بعيش (الى حين) الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما أصابنى ما أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وتراوحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له قبرا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده (قال فيها

تحيون) فى الارض (وفيها تموتون ومنها تخرجون) للثواب والعقاب تخرجون حمزة وعلى (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) جعل ما فى الارض منزلا من السماء لان أصله من الماء وهو منها (يوارى سوآتكم) يسترعوراتكم (وريشا) لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذى يقى العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهى (ذلك خير) كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر أو ذلك صفة للمبتدا وخير خبر المبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير أو لباس التقوى خبر مبتدا محذوف أى وهو لباس التقوى أى ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن ولباس التقوى مدنى وشامى وعلى عطفا على لباسا أى وأنزلنا عليكم لباس التقوى (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعنى انزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى من الفضيحة واشعارا بان التستر من التقوى (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) لا يخدعنكم ولا يضلنكم بان لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بان أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا فى ان نزع عنهما والنهى فى الظاهر للشيطان وفى المعنى لبنى آدم أى لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم (ليريهما سوآتهما) عوراتهما (انه) الضمير للشأن والحديث (يراكم هو) تعليل للنهى وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجى يكيدكم من حيث لا تشعرون (وقبيله) وذريته أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير فى يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل (من حيث لا ترونهم) قال ذو النون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فيه دلالة خلق الافعال (واذا فعلوا فاحشة) ما يبالغ فى قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة وشركهم (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) أى اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله أمرهم بان يفعلوها حيث أقرنا عليها اذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان لان أحدهما تقليد للجهال والثانى افتراء على ذى الجلال (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) اذ المأمور به لا بد أن يكون حسنا وان كان فيه على مراتب على ما عرف فى أصول الفقه (أتقولون على الله ما لا تعلمون) استفهام انكار وتوبيخ (قل أمر ربى بالقسط) بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقل أقيموا وجوهكم أى اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها فى كل وقت سجود أو فى كل مكان سجود (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا (كما بدأكم تعودون) كما

أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم فى انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فاخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم المسلمون (وفريقا) أى أضل فريقا (حق عليهم الضلالة) وهم الكافرون (انهم) ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أى أنصارا (ويحسبون أنهم مهتدون) والآية حجة لنا على أهل الاعتزال فى الهداية والاضلال (يابنى آدم خذوا زينتكم) لباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة ان ياخذ الرجل أحسن هيأته للصلاة لان الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا ولا تسرفوا) بالشروع فى الحرام أو فى مجاوزة الشبع (انه لا يحب المسرفين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولم يروعن رسولكم شئ فى الطب فقال قد جمع رسولنا الطب فى ألفاظ يسيرة وهى قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ثم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (التى أخرج لعباده) أى أصلها يعنى القطن من الارض والقز من الدود (والطيبات من الرزق) والمستلذات من المآكل والمشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهى مبتدأ خبره للذين آمنوا وفى الحياة الدنيا ظرف للخبر أو خالصة خبر ثان أو خبر مبتدا محذوف أى هى خالصة وغيره نصبها على الحال من الضمير الذى فى الظرف الذى هو الخبر أى هى ثابتة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فى حال خلوصها يوم القيامة (كذلك نفصل الآيات) نميز الحلال من الحرام (لقوم يعلمون) أنه لا شريك له (قل انما حرم ربى الفواحش) ربى حرمة الفواحش ما تفاحش قبحه أى تزايد (ما ظهر منها وما بطن) سرها وعلانيتها (والاثم) أى شرب الخمر أو كل ذنب (والبغى) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبغى ومحل (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكى وبصرى وفيه تهكم اذ لا يجوز أن ينزل برهانا على أن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل فى اجل معلوم عند الله كما نزل

بالامم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لانها أقل ما يستعمل فى الامهال (يابنى آدم إما يأتينكم) هى ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لان ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رسل منكم يقصون عليكم آياتى) يقرؤن عليكم كتبى وهو فى موضع رفع صفة لرسل وجواب الشرط (فمن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أصلا فلا خوف يعقوب (والذين كذبوا منكم (بآياتنا واستكبروا عنها) تعظموا عن الايمان بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم) فمن أشنع ظلما (ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) ملك الموت وأعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهى حتى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهى اذا جاءتهم رسلنا (يتوفونهم) يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أى متوفيهم وما فى (قالوا أينما كنتم تدعون) فى خط المصحف موصولة باين وحقها أن تكتب مفصولة لانها موصولة والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون (من دون الله) لينجوا عنكم (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التى هى لتحقيق الخبر (قال ادخلوا) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا (فى أمم) فى موضع الحال أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم (قد خلت) مضت (من قبلكم من الجن والانس) من كفار الجن والانس (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لعنت أختها) شكلها فى الدين أى التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا ادارکوا فيها) أصله تدارکوا أى تلاحقوا واجتمعوا فى النار فابدلت التاء دالا وسكنت للادغام ثم أدخلت همزة الوصل (جميعا) حال (قالت أخراهم) منزلة وهى الاتباع والسفلة (لاولاهم) منزلة وهى القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل أولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم (ربنا) يا ربنا (هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضاعفا (من النار قال لكل ضعف) للقادة بالغواية والاغواء وللاتباع بالكفر والاقتداء (ولكن لا تعلمون) ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون أبو بكر أى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وانا متساوون فى استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل أو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لا يؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة اذ هى فى السماء أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أو لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين الى السماء وبالتاء مع التخفيف أبو عمرو وبالياء معه حمزة وعلى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة أى

لايدخلون الجنة أبدا الا علقه بما لا يتكون والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذى وصفنا (نجزى المجرمين) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية جمع غاشية (وكذلك نجزى الظالمين) أنفسهم بالكفر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها) طاقتها والتكليف إلزام ما فيه كلفة أى مشقة (أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب الجنة) والجملة خبر الذين ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر (هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل) حقد كان بينهم فى الدنيا فلم يبق بينهم الا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه انى لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الانهار) حال من هم فى صدورهم والعامل فيها معنى الاضافة (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان (وما كنا) ما كنا بغير واو شامى على أنها جملة موضحة للاولى (لنهتدى لولا ان هدانا الله) اللام لتوكيد النفى أى وما كان يصح أن نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لطفا لنا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا واظهارا لما اعتقدوا (ونودوا أن تلكم الجنة) ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة (أورثتموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة (بما كنتم تعملون) سماها ميراثا لانها لا تستحق بالعمل بل هى محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شئ بل هو صلة خالصة وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال أهل الجنة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وقال أهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما أغويتنى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا) أن مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك أن لعنة الله على الظالمين (ما وعدنا ربنا) من الثواب (حقا) حال (فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العذاب (حقا) وتقديره وعدكم ربكم فحذفكم لدلالة وعدنا ربنا عليه وانما قالوا لهم ذلك شماتة بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قالوا نعم) وبكسر العين حيث كان على (فأذن مؤذن بينهم) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار (أن لعنة الله على الظالمين) أن لعنة مكى وشامى وحمزة وعلى (الذين يصدون) يمنعون (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجا) مفعول ثان ليبغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالدار الآخرة (كافرون وبينهما) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور

المذكور في قوله فضرب بينهم بسور (وعلى الاعراف) على أعراف الحجاب وهو الجدار المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولا في الجنة لاستواء حسناتهم وسيآتهم أو من لم يرض عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين (يعرفون كلا) من زمرة السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون (ونادوا) أي أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) انه سلام أو أي سلام وهو تهنئة منهم لاهل الجنة (لم يدخلوها) أي أصحاب الاعراف ولا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن أصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها (وهم يطمعون) في دخولها أو له محل وهو صفة لرجال (وإذا صرفت أبصارهم) أبصار أصحاب الاعراف وفيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا (تلقاء) ظرف أي ناحية (أصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من رؤس الكفرة (يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) المال أو كثرتكم واجتماعكم وما نافية (وما كنتم تستكبرون) واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (أهؤلاء) مبتدأ (الذين) خبر مبتدا مضمر تقديره هؤلاء هم الذين (أقسمتم) حلفتم في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لا ينالهم الله برحمة) جواب أقسمتم وهو داخل في صلة الذين تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أي لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم فيقال لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أن مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة أو أريد وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك * علفتها تبنا وماء باردا * أي وسقيتها وانما سألوا ذلك مع يأسهم عن الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) هو تحريم منع كما في وحرمنا عليه المراضع وتقف هنا ان رفعت أو نصبت ما بعده ذما وان جررته وصفا للكافرين فلا (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) لحرموا وأحلوا ما شاؤا أو دينهم عيدهم (وغرتهم الحياة الدنيا) اغتروا بطول البقاء (فاليوم ننساهم) نتركهم في العذاب (كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) أي كنسيانهم وجحودهم (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (على علم) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كان على علم حال من مرفوعه (لقوم يؤمنون هل ينظرون) ينتظرون (الا تأويله) الا عاقبة أمره وما يؤل اليه من تبيين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد

والوعيد (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين وصح أنهم جاؤا بالحق فأقروا حين لا ينفعهم (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) جواب الاستفهام (أو نرد) جملة معطوفة على جملة قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كأنه قيل فهل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيدا أو عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع أو هل نرد (فنعمل) جواب الاستفهام أيضا (غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ما كانوا يعبدونه من الاصنام (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) أراد السموات والارض وما بينهما وقد فصلها فى حم السجدة أى من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيأ فشيأ والاعلام بالتأنى فى الامور ولان لكل عمل يوما ولان انشاء شئ بعد شئ أدل على عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته (ثم استوى) استولى (على العرش) أضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات لان العرش أعظمها وأعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل لانه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لان التغيير من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق والحسن وأبى حنيفة ومالك رضى الله عنهم ان الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والايمان به واجب والجحود له كفر والسؤال عنه بدعة (يغشى الليل النهار) يغشى حمزة وعلى وأبو بكر أى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل (يطلبه حثيثا) حال من الليل أى سريعا والطالب هو الليل كانه لسرعة مضيه يطلب النهار (والشمس والقمر والنجوم) أى وخلق الشمس والقمر والنجوم (مسخرات) حال أى مذللات والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات (بأمره) هو أمر تكوين ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق والامر) أى هو الذى خلق الاشياء وله الامر (تبارك الله) كثر خيره أو دام بره من البركة النماء أو من البروك الثبات ومنه البركة (رب العالمين أدعوا ربكم تضرعا وخفية) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل أى تذللا وتملقا قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا انه معكم أينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا (انه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به فى كل شئ من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها) أى بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل (وادعوه خوفا وطمعا) حالان أى خائفين من الرد طامعين

فى الاجابة أومن النيران وفى الجنان أومن الفراق وفى التلاق أومن غيب العاقبة وفي ظاهر الهداية أومن العدل وفى الفضل (ان رحمت الله قريب من المحسنين) ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أوالترحم أولانه صفة موصوف محذوف أى شئ قريب أوعلى تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول أولان تأنيث الرحمة غير حقيقى أوللاضافة الى المذكر (وهو الذى يرسل الرياح) الريح مكى وحمزة وعلى (نشرا) حمزة وعلى مصدر نشر وانتصابه اما لان أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا واما على الحال أى منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشرا شامى تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور أى ناشرة للمطر (بين يدى رحمته) أمام نعمته وهو الغيث الذى هو من أجل النعم (حتى اذا أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا (سحابا ثقالا) بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لبلد ميت) لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميت مدنى وحمزة وعلى وحفص (فأنزلنا به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر الى الايمان بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما إعادة الشئ بعد انشائه (والبلد الطيب) الارض الطيبة الترب (يخرج نباته باذن ربه) بتيسيره وهو موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع فى مقابلة نكدا (والذى خبث) صفة للبلد أى والبلد الخبيث (لا يخرج) أى نباته فحذف للاكتفاء (الا نكدا) هو الذى لا خير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شئ من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على أثر مثل ذلك المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصرف (نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها (لقد أرسلنا) جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا (نوحا الى قومه) أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو اسم ادريس عليه السلام (فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) غيره على فالرفع على المحل كانه قيل مالكم إله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملا) أى الاشراف والسادة (من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين) أى بين فى ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب (قال ياقوم ليس بى ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه كانه قال ليس بى شئ من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفى الضلالة فقال (ولكنى رسول من رب العالمين) لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته فى معنى كونه على الصراط المستقيم فكان

فى الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالات ربى) ما أوحى الى فى الاوقات المتطاولة أو فى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهى والمواعظ والبشائر والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وأنصح لكم) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على المحاض النصيحة وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية فى صدق العناية (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى من صفاته يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من ان جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم أى من جنسكم وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لينذركم) ليحذركم عاقبة الكفر (ولتتقوا) ولتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه) فنسبوه الى الكذب (فأنجيناه والذين معه) وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (فى الفلك) يتعلق بمعه كانه قيل والذين صحبوه فى الفلك (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين) عن الحق يقال أعمى فى البصر وعم فى البصيرة (والى عاد) وأرسلنا الى عاد وهو عطف على نوح (أخاهم) واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم ألزم (هودا) عطف بيان لاخاهم وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) وانما لم يقل فقال كما فى قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملا الذين كفروا من قومه) وانما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملا من قوم نوح لان فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن فى أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن (انا لنراك فى سفاهة) فى خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعنى انه متمكن فيها غير منفك عنها (وانا لنظنك من الكاذبين) فى ادعائك الرسالة (قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح) فيما أدعوكم اليه (أمين) على ما أقول لهم وانما قال هنا وأنا لكم ناصح أمين لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين أى ليقابل الاسم الاسم وفى اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (أوعجبتم

أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم في الارض أوفى مساكنهم واذ مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (وزادكم فى الخلق بسطة) طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع بصطة حجازى وعاصم وعلى (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وماسواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى نحوانى والآناء (لعلكم تفلحون) ومعنى المجئ فى (قالوا أجئتنا) أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الاصنام شركاء معهم حبا لما نشؤا عليه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال قد وقع) أى قد نزل (عليكم) جعل المتوقع الذى لابد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان (من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها) فى أشياء ماهى الا أسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمون الاصنام آلهة وهى خالية عن معنى الالوهية (أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة (فانتظروا) نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين) ذلك (فأنجيناه والذين معه) أى من آمن به (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشئ وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة نفى الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان الهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام فاوفدوا اليه قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان يكتم ايمانه بهود عليه السلام وأهل مكة اذ ذاك العمالق أولاد عمليق بن لاوز بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه بظاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخالفوا مرثدا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السوداء على ظن انها أكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (والى ثمود) وأرسلنا الى ثمود وقرئ والى ثمود بتأويل الحى أو باعتبار الاصل لانه اسم أبيهم الاكبر ومنع الصرف بتأويل القبيلة وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام (أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) آية ظاهرة شاهدة على صحة

نبوتى فكانه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله) وهذه اضافة تخصيص وتعظيم لانها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الاشارة فى هذه كانه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هى له آية وهى ثمود لانهم عاينوها (فذروها تأكل فى أرض الله) اى الارض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية الله (فيأخذكم) جواب النهى (عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم) ونزلكم والمباءة المنزل (فى الارض) فى أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) غرفا للصيف (وتنحتون الجبال بيوتا) للشتاء وبيوتا حال مقدرة نحو خط هذا الثوب قميصا اذ الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين) روى ان عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوها فى الارض وعمروا أعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا فى سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم فسألوه ان يخرج من صخرة بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كما شاؤا فآمن به جندع ورهط من قومه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) وقال شامى (للذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا باعادة الجار وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان فى تقدير اعادة العامل والضمير فى منهم راجع الى قومه وهو يدل على أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين اوالى الذين استضعفوا وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا لهم لانهم سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله أمرا معلوما مسلما كانهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به لا شبهة فيه وانما الكلام فى وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فعقروا الناقة) أسند العقر الى جميعهم وان كان العاقر قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار أحمر أزرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا على أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى أرض الله اوشأن ربهم وهو دينه (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة) الصيحة التى زلزلت لها الارض واضطربوا لها (فاصبحوا فى دارهم) فى بلادهم اومساكنهم (جاثمين) ميتين قعودا يقال الناس جثم اى قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون (فتولى عنهم) لما عقروا الناقة

(وقال ياقوم) عند فراقه اياهم (لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة منبئة تدرأ الفضيحة ولكنها وخيمة تورث السخيمة روى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة أيام تصفر وجوهكم أول يوم وتحمر فى الثانى وتسود فى الثالث ويصيبكم العذاب فى الرابع وكان كذلك روى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فلما علم انهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (ولوطا اذ قال لقومه) اى واذكر لوطا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة (من أحد) من زائدة لتأكيد النفى وافادة معنى الاستغراق (من العالمين) من للتبعيض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها وقوله تعالى (أئنكم لتأتون الرجال) بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها فى أتأتون للانكار انكم على الاخبار مدنى وحفص يقال أتى المرأة اذا غشيها (شهوة) مفعول له اى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية (من دون النساء) اى لا من النساء (بل أنتم قوم مسرفون) أضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شئ فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد (وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم) اى لوطا ومن آمن معه يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف الذى هو أصل الشر ولكنهم جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم (انهم اناس يتطهرون) يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضى الله عنهما عابوهم بما يتمدح به (فأنجيناه وأهله) ومن يختص به من دونه من المؤمنين (الا امرأته كانت من الغابرين) من الباقين فى العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى انها التفتت فاصابها حجر فماتت (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا أمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم وقال أبو عبيدة أمطر فى العذاب ومطر فى الرحمة (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الكافرين (والى مدين) وأرسلنا الى مدين وهو اسم قبيلة (أخاهم شعيبا) يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) اى معجزة وان لم تذكر فى القرآن (فاوفوا الكيل والميزان) أتموهما والمراد فاوفوا الكيل ووزن الميزان او يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شئ فى مبايعتهم وبخس يتعدى الى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقه

أي نقصته اياه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) بعد الاصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء والاولياء واضافته كاضافة بل مكر الليل والنهار أي بل مكركم في الليل والنهار (ذلكم) اشارة الى ماذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض (خير لكم) في الانسانية وحسن الاحدوثة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لي في قولي (ولا تقعدوا بكل صراط) بكل طريق (توعدون) من آمن بشعيب بالعذاب (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أي لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (واذكروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون على مايسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور (قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) أي ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر (قال) شعيب (أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت أراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب (وما يكون لنا) وما ينبغي لنا وما يصح (أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) الا أن يكون سبق في مشيئته أن نعود فيها اذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرها (وسع ربنا كل شئ علما) تمييز أي هو عالم بكل شئ فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب (على الله توكلنا) في أن يثبتنا على الايمان ويوفقنه لازدياد الايقان (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) أي احكم والفتاحة الحكومة والقضاء

بالحق يفتح الامر المغلق فلذا سمى فتحا ويسمى أهل عمان القاضي فتاحا (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون) مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لانه ينهاكم عنهما ويأمركم على الايفاء والتسوية وجواب القسم الذى وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط انكم اذا لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) ميتين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها غنى بالمكان أقام (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لا من قالوا لهم انكم اذا لخاسرون وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان أهلكوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فهم الرابحون وفى التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم (فتولى عنهم) بعد أن نزل بهم العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى) أحزن (على قوم كافرين) اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزنى على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم أو أراد لقد أعذرت لكم في الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقونى فكيف آسى عليكم (وما أرسلنا فى قرية من نبى) يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف أى فكذبوه (الا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم أو هما نقصان النفس والمال (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب واللام فى (ولو أن أهل القرى) اشارة الى أهل القرى التى دل عليها وما أرسلنا فى قرية من نبى كانه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا أهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) الشرك مكان ارتكابه (لفتحنا عليهم) لفتحنا شامى (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كل وجه (ولكن كذبوا) الانبياء (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفأمن أهل القرى) يريد الكفار منهم (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا أى وقت بيات يقال بات بياتا (وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا والضحى فى الاصل ضوء الشمس اذا أشرقت والفاء والواو فى أفأمن وأو أمن حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فاخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا

وضنعوا فاخذناهم بغتة بعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى أوأمن شامى وحجازى على العطف باو والمعنى انكار الامن من أحد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا أوضحى فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافى الاستفهام قلت التنافى فى المفرد لا فى عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة بعد جملة (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدى لهم (أفأمنوا) تكرير لقوله أفأمن أهل القرى (مكر الله) أخذه العبد من حيث لا يشعر وعن الشبلى قدس الله روحه العزيز مكره بهم تركه اياهم على ماهم عليه وقالت ابنة الربيع بن خيثم لابيها مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابنتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا الى النار (أولم يهد) يبين (للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أن لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة أى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين (ونطبع) مستأنف أى ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلى شيخا فى أنه مبتدا وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبرا والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجىء الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجىء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من لدن مجىء الرسل اليهم الى أن ماتوا مصرين مع تتابع الآيات واللام لتأكيد النفى (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) الضمير للناس على الاطلاق يعنى ان أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه فى الايمان والآية اعتراض أو للامم المذكورين فانهم كانوا اذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا (وان) الشان والحديث (وجدنا أكثرهم لفاسقين) خارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك الا فى المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للامم (موسى بآياتنا) بالمعجزات الواضحات (الى فرعون وملئه فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن أولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) حيث صاروا مغرقين

(وقال موسى يافرعون) يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة وكانه قال
ياملك مصر واسمه قابوس أوالوليد بن مصعب بن الريان (انى رسول من رب العالمين) اليك
قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) أى أنا حقيق على
قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق على نافع أى واجب على
ترك القول على الله الا الحق أى الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الاول يجوز
الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة أبى أى انى رسول خليق بان
لا أقول أو يعلق على بمعنى الفعل فى الرسول أى انى رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن
لا أقول على الله الا الحق (قد جئتكم ببينة من ربكم) بما يبين رسالتى (فأرسل معى بنى اسرائيل)
فخلهم يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام
لما توفى غلب فرعون على نسل الاسباط واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين
اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام معى
حفص (قال ان كنت جئت بآية) من عند من أرسلك (فأت بها ان كنت من الصادقين) فاننى
بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فألقى) موسى عليه السلام (عصاه) من يده (فاذا هى)
اذا هذه للمفاجأة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (مبين) ظاهر
أمره روى انه كان ذكرا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل فى الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك
وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون يا موسى
خذه وأنا أؤمن بك فاخذه موسى فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه (فاذا هى بيضاء
للناظرين) أى فاذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا عجيبا
خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر اليه روى انه أرى فرعون يده وقال ما هذه
فقال يدك ثم أدخلها فى جيبه ونزعها فاذا هى بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان
موسى عليه السلام آدم شديد الادمة (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم)
عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل الى الناس العصا حية والادم أبيض وهذا الكلام
قد عزى الى فرعون فى سورة الشعراء وانه قاله للملأ وهنا عزى اليهم فيحتمل انه قد
قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم هنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم
(يريد أن يخرجكم من أرضكم) يعنى مصر (فماذا تأمرون) تشيرون من أمرته فأمرنى
بكذا اذا شاورته فأشار عليك برأى وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا الساحر
عليم يريد أن يخرجكم (قالوا أرجه) بسكون الهاء عاصم وحمزة أى أخر واحبس أى أخر
أمره ولا تعجل أو كانه هم بقتله فقالوا أخر قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق
(وأخاه) هرون (وأرسل فى المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر عليم) سحار
حمزة وعلى أى يأتوك بكل ساحر عليم مثله فى المهارة أو بخير منه (وجاء السحرة فرعون)

يريد فأرسل اليهم فحضروا (قالوا ان لنا لاجرا) على الخبر واثبات الاجر العظيم مجازى. وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذ جاؤه فأجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا الجعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كانهم قالوا لابد لنا من أجر عظيم (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) ان لكم لاجرا (وانكم لمن المقربين) عندى فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا أو سبعين ألفا أو بضعة وثلاثين ألفا (قالوا يا موسى اما أن تلقى) عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) لما مننا وفيه دلالة على ان رغبتهم فى أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر (قال) لهم موسى عليه السلام (ألقوا) تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل أن يتعاوروا فى الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) أروها بالخيل والشموذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه روى انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى أمثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بالحيلة (وجاؤا بسحر عظيم) فى باب السحر أو فى عين من رآه (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف) تبتلع تلقف حفص (ما يأفكون) ما موصولة أو مصدرية يعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه أو افكهم تسمية للمأفوك بالافك روى أنها لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل وثبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فغلبوا هنالك) أى فرعون وجنوده والسحرة (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مبهوتين (وألقى السحرة ساجدين) وخروا سجدا لله كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا فكانوا أول النهار كفارا سحرة وفى آخره شهداء بررة (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) هو بدل مما قبله (قال فرعون آمنتم به) على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين كوفى غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد (قبل أن آذن لكم) قبل اذنى لكم (ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها) ان صنعكم هذا حيلة احتلتموها أنتم وموسى فى مصر قبل أن تخرجوا الى الصحراء لغرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بنى اسرائيل (فسوف تعلمون) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم أجمعين) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قالوا انا الى ربنا منقلبون) فلا نبالى بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته أو انا جميعا يئول أنفسهم وفرعون ننقلب الى الله فحكم بيننا (وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أردوا وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان

ومنه قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(ربنا أفرغ علينا صبرا) أي اصبب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام (وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (ويذرك وآلهتك) عطف على ليفسدوا قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للملا (سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) سنقتل حجازى أى سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذى تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أى أرض مصر أو للجنس فيتناول أرض مصر تناولا أوليا (لله يورثها من يشاء من عباده) فيه تمنيته اياهم أرض مصر (والعاقبة للمتقين) بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال الملأ لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى الى أن استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) سني القحط وهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم (ونقص من الثمرات) قيل السنون لاهل البوادى ونقص الثمرات للامصار (لعلهم يذكرون) ليتعظوا فينتهوا على أن ذلك لاصرارهم على الكفر ولان الناس في حال الشدة أضرع خدودا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم يرمكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو وجوع أو حمى لما ادعى الربوبية (فاذا جاءتهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لنا هذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصبهم سيئة) جدب ومرض

(يطيروا)

(يطيروا) أصله يتطير وا فأدغمت التاء في الطاء لانها من طرف اللسان وأصول الثنايا (بموسى ومن معه) تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة ونكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته وأما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها (ألا انما طائرهم) سبب خيرهم وشرهم (عند الله) في حكمه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة قل كل من عند الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أصل مهما ما ما فما الاولى للجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج أخرج أينما تكونوا فما نذهبن بك الان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري وهو في موضع النصب بتأتنا أي أي شيء ومن آية تبيين لمهما والضمير في به وبها راجع الى مهما الان الاول ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لانها في معنى الآية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء (فأرسلنا عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة أو هو الجدري أو الطاعون (والجراد) فأكلت زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء (والقمل) وهي الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها أو البراغيث أو كبار القردان (والضفادع) وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى اذا تكلم الرجل تقع في فيه (والدم) أي الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعا على اناء فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وقيل سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكورة (مفصلات) مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بموسى (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب الاخير وهو الدم أو العذاب المذكور واحدا بعد واحد (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) ما مصدرية أي بعهده عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أي ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل) الى حد من الزمان (هم بالغوه) لا محالة فعذبوا فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (إذا هم ينكثون) جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث ولم يؤخروه (فانتقمنا منهم) هو ضد الانعام كما أن العقاب هو ضد الثواب (فأغرقناهم في اليم) هو البحر الذي لا يدرك قعره أو هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المنتفعين به يقصدونه (بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أي كان اغراقهم

بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (وأورثنا لقوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارق الارض ومغاربها) يعني أرض مصر والشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار (وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل) هو قوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض أو ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الى ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت أي مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (ودمرنا) أهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارات وبناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وبضم الراء شامي وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله ثم اتبعه قصة بني اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رآه من بني اسرائيل بالمدينة (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) روى انهم عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلي (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها) صنما نعكف عليه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودي لعلي رضي الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلها ولم تجف أقدامكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده (ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ما هم فيه) أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم ألبتة (وباطل ما كانوا يعملون) أي ما عملوا من عبادة الاصنام باطل مضمحل (قال أغير الله أبغيكم إلها) أي أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) حال أي على عالمي زمانكم (واذ أنجيناكم من آل فرعون) أنجاكم شامي (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها وهو استئناف لا محل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يقتلون نافع (وفي ذلكم) أي في الانجاء أو في العذاب (بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) لاعطاء التوراة (وأتممناها بعشر) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من

عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فأوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك (فتم ميقات ربه) ما وقت له من الوقت وضربه له (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد ولقد أجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هنا (وقال موسى لأخيه هرون) هو عطف بيان لأخيه (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتناله وحددناه ومعنى اللام الاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا (وكلمه ربه) بلا واسطة ولا كيفية وروى انه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتا تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله (قال رب أرني أنظر اليك) ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني ذاتك أنظر اليك يعني مكني من رؤيتك بأن تتجلى لي حتى أراك أرني مكي وبكسر الراء مختلسة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر (قال لن ترانى) بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لانه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بأنه ليس بمرئي اذ الحالة حالة الحاجة الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقي على حاله (فسوف ترانى) وهو دليل لنا أيضا لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما أوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد لو لم يوجده لانه مختار في فعله ولانه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الغرق (فلما تجلى ربه للجبل) أي ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما قاله الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالما بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى انه ليس بمرئي باطل اذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا اليك ثم يقول له لن يروني ولانها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل

كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره ألا ترى انهم لما قالوا له اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون (جعله دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الامير والدق والدك اخوان دكاء حمزة وعلى أى مستوية بالارض لا أكمة فيها ولا ناقة دكاء لا سنام لها (وخر موسى صعقا) حال أى سقط مغشيا عليه (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك تبت اليك) من السؤال فى الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لا تعطى الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبى والاصم معنى قوله أرنى أنظر اليك أرنى آية أعلمك بها بطريق الضرورة كانى أنظر اليك لن ترانى لن تطيق معرفتى بهذه الصفة ولكن انظر الى الجبل فانى أظهر له آية فان ثبت الجبل لتجلها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لانه قال أرنى أنظر اليك ولم يقل اليها وقال لن ترانى ولم يقل لن ترى آيتى وكيف يكون معناه لن ترى آيتى وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (برسالاتى) هى اسفار التوراة برسالتى مجازى (وبكلامى) وبتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر ولما كان هرون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام (وكتبنا له فى الالواح) الالواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة (من كل شئ) فى محل النصب على انه مفعول كتبنا (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شئ كان بنو اسرائيل محتاجين اليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (فخذها) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للالواح أو لكل شئ لانه فى معنى الاشياء (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أى فيها ما هو حسن وأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر فرهم أن يأخذوا بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم (سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهى مصر ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم أو جهنم (سأصرف عن آياتى) عن فهمها قال ذو النون قدس الله روحه أبى الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن (الذين يتكبرون) يتطاولون على الخلق ويأنفون عن قبول الحق وحقيقة التكلف للكبرياء التى اختصت بالبارى عز قدرته (فى الارض بغير الحق) هو حال أى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد)

طريق صلاح الامر او طريق الهدى الرشد حمزة وعلى وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع اى ذلك الصرف (بأنهم كذبوا بآياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به اى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خبر والذين (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه الى الطور (من حليهم) وانما نسبت اليهم مع انها كانت عوارى فى أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملابسة وفيه دليل على ان من حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها يحنث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامرى ولكنهم رضوا به فاسند الفعل اليهم والحلى جمع حلى وهو اسم ما يحسن به من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلى للاتباع (عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه اى بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثانى محذوف اى الهاتم عجب من عقولهم السخيفة فقال (ألم يروا) حين اتخذوه الها (أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق الى سبيل الحق بما أركز فى العقول من الادلة وبما أنزل فى الكتب ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) الها فاقدموا على هذا الامر المنكر (وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم) ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل وأصله ان من اشتد ندمه أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وسقط مسند الى فى أيديهم وهو من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم فى أيديهم اى فى قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وان استحال أن يكون فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين (ورأوا انهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلى وانتصاب ربنا على النداء (لنكونن من الخاسرين) المغبونين فى الدنيا والآخرة (ولما رجع موسى) من الطور (الى قومه) بنى اسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال أيضا اى حزينا (قال بئسما خلفتمونى) قمتم مقامى وكنتم خلفائى (من بعدى) والخطاب لعبدة العجل من السامرى وأشياعه او لهرون ومن معه من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفنى فى قومى والمعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا عن عبادة غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتمونى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خلفتمونى من بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه او من بعدما كنت أحمل بنى اسرائيل على التوحيد وأكفهم عن عبادة البقرة

حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف (أعجلتم) أسبقتم بعبادة العجل (أمر ربكم) وهو اتياني لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشئ قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى تركتم (وألقى الالواح) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله وكان في نفسه شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب الى بني اسرائيل من موسى فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شئ وفيما بقي هدى ورحمة (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (يجره اليه) عتابا عليه لاهوانا به وهو حال من موسى (قال ابن أم) بنى الابن مع الام على الفتح كخمسة عشر وبكسر الميم حمزة وعلي وشامي لان أصله أمي فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى الى العطف (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) أي اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي (فلا تشمت بي الاعداء) الذين عبدوا العجل أي لا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي قرينا لهم بغضبك علي فلما اتضح له عذر أخيه (قال رب اغفر لي ولاخي) ليرضى أخاه وينفي الشماتة عنه باشراكه معه في الدعاء والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخي ولاخي ان كان فرط في حسن الخلافة (وأدخلنا في رحمتك) عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) إلها (سينالهم غضب من ربهم) هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة (وذلة في الحيوة الدنيا) خروجهم من ديارهم فالغربة تذل الاعناق أو ضرب الجزية عليهم (وكذلك نجزي المفترين) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا إلهكم وإله موسى (والذين عملوا السيآت) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) وأخلصوا الايمان (ان ربك من بعدها) أي السيآت أو التوبة (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وان عظمت فعفوه أعظم ولما كان الغضب لشدته كأنه هو الآمر لموسى بما فعل قيل (ولما سكت عن موسى الغضب) وقال الزجاج معناه سكن وقرئ به (أخذ الالواح) التي ألقاها (وفي نسختها) وفيما نسخ منها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره (واختار موسى قومه) أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل (سبعين رجلا) قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فقعد كالب ويوشع (لميقاتنا) لاعتذارهم عن عبادة العجل (فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) بما كان منهم من عبادة العجل (وإياي) لقتلى القبطي

(أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال منا وهم أصحاب العجل (ان هي الا فتنتك) ابتلاؤك وهو راجع الى قوله انا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هي تلك الفتنة التي أخبرتني بها وهي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر والخير فتنة (تضل بها) بالفتنة (من تشاء) من علمت منهم اختيار الضلالة (وتهدي) بها (من تشاء) من علمت منهم اختيار الهدى (أنت ولينا) مولانا القائم بامورنا (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (في هذه الدنيا حسنة) عاقبة وحياة طيبة أو توفيقا في الطاعة (وفي الآخرة) الجنة (إنا هدنا اليك) تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب (قال عذابي) من صفته اني (أصيب به من أشاء) أي لا أعفو عنه (ورحمتي وسعت كل شيء) أي من صفة رحمتي انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر الا وعليه أثر رحمتي في الدنيا (فسأكتبها) أي هذه الرحمة (للذين يتقون) الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ويؤتون الزكوة) المفروضة (والذين هم بآياتنا) بجميع كتبنا (يؤمنون) لا يكفرون بشيء منها (الذين يتبعون الرسول) الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الامي الذي يجدونه) أي يجدون نعته أولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف) بخلع الانداد وانصاف العباد (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاصنام وقطيعة الارحام (ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة (ويضع عنهم اصرهم) هو الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم شامي على الجمع (والاغلال التي كانت عليهم) هي الاحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أو منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو وأصل العزر المنع ومنه التعزير لانه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع (ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن ومع متعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) الفائزون بكل خير والناجون من كل شر (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم) بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن (جميعا) حال من اليكم (الذي له ملك السموات والأرض) في محل النصب باضمار أعني وهو نصب على المدح (لا إله إلا هو) بدل من الصلة وهي له ملك السموات والارض وكذلك (يحيي ويميت) وفي لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان

هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته) أي الكتب المنزلة (واتبعوه لعلكم تهتدون) ولم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) أي يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذي هم عليه (وبه يعدلون) وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام واضرابه (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض (اثنتي عشرة أسباطا) كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام نعم ميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغي أن يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة (أمما) بدل من اثنتي عشرة أي وقطعناهم أمما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى (وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فضرب (فانبجست) فانفجرت (منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) هو اسم جمع غير تكسير (وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه (وأنزلنا عليهم المن والسلوى) وقلنا لهم (كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا) أي وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم (واذ قيل لهم) واذكر اذ قيل لهم (اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم) تغفر لكم مدني وشامي خطيئاتكم مدني خطاياكم أبو عمرو خطيئتكم شامي (سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها في هذه السورة وبين قوله في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد (واسئلهم) واسأل اليهود (عن القرية) أيلة أو مدين وهذا السؤال للتقريع بقديم كفرهم (التي كانت حاضرة البحر) قريبة منه (اذ يعدون في السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم

السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون فى محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال (اذ تأتيهم) منصوب يعدون أو بدل بعد بدل (حيتانهم) جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذ يعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) ويوم ظرف لا تأتيهم (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم (واذ قالت) معطوف على اذ يعدون وحكمه كحكمه فى الاعراب (أمة منهم) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم لآخرين لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أى موعظتنا ابلاء (١) عذر الى الله لئلا ننسب فى النهى عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول له أى وعظناهم للمعذرة (ولعلهم يتقون) ولطمعنا فى أن يتقوا (فلما نسوا) أى أهل القرية لما تركوا (ما ذكروا به) ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه (أنجينا الذين ينهون عن السوء) عن العذاب الشديد (وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فمن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس بئس شامى بيس مدنى بيئس على وزن فيعل أبو بكر غير حماد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أى جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (واذ تأذن ربك) أى أعلم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أى كتب على نفسه ليسلطن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم) من يوليهم (سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) للكفار (وانه لغفور رحيم) للمؤمنين (وقطعناهم فى الارض) وفرقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة (أمما منهم الصالحون) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أى ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم والخصب والجدب (لعلهم يرجعون) ينتهون فيتيبون (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف

(١) فى القاموس ابلاه عذرا اداه اليه فقبله

بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها (يأخذون عرض هذا الادنى) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلام وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند الى الاخذ أو الى الجار والمجرور أي لنا (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب (أن لا يقولوا على الله الا الحق) أي اخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرؤا ما في الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا يعقلون) انه كذلك وبالتاء مدني وحفص (والذين يمسكون بالكتاب) يمسكون أبو بكر والامساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلق بشيء (وأقاموا الصلوة) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر (انا لا نضيع أجر المصلحين) أي انا لا نضيع أجرهم وجاز أن يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وانا لا نضيع اعتراض (واذ نتقنا الجبل فوقهم) واذكر اذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور (كأنه ظلة) هي كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا أن يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذكروا ما فيه) من الاوامر والنواهي ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما أنتم عليه (واذ أخذ ربك من بني آدم) أي واذكر اذ أخذ (من ظهورهم) بدل من بني آدم والتقدير واذ أخذ ربك من ظهور بني آدم (ذريتهم) ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكانه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك (ان يقولوا) مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا (يوم

القيامة

القيامة انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه (أو يقولوا) أو كراهة ان يقولوا (انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقتداء بالآباء كالا عذر لآبائهم فى الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك وتركه سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلهم يرجعون) عن شركهم نفصلها الى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشرى وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله ألست بربكم فاجابوه ببلى قالوا وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه اياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق ان يعبدونى قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل فى الجنة والحجة للاولين انه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولانا لا نتذكر ذلك فانى يصير حجة ذرياتهم مدنى و بصرى وشامى أن تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا) هو عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله (فانسلخ منها) فخرج من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا منه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الاعظم (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بتلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى الدنيا ورغب فيها (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه) أى تزجره وتطرده (يلهث أو تتركه) غير مطرود (يلهث) والمعنى فصفته التى هى مثل فى الخسة والضعة كصفة الكلب فى أخس أحواله وأذلها وهى حال دوام اللهث به سواء حمل عليه أى شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا حرك أما الكلب فيلهث فى الحالين فكان مقتضى الكلام ان يقال ولكنه أخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه هو ضال وعظ أو ترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب يجح ان طرد أو ترك (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه و بشروا الناس باقتراب مبعثه (فاقصص القصص) أى قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون

مثل عاقبته اذا سار وانحو سيرته (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر أى ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة أى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم أو منقطع عن الصلة أى وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص أى وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها (من يهد الله فهو المهتدى) حمل على اللفظ (ومن يضلل) أى ومن يضلله (فاولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت فى حق الفريقين فدل انه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافى بين هذا وبين قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لانه انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده وأما من علم انه يكفر به فانما خلقه لما علم انه يكون منه فالحاصل ان من علم منه فى الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة أى لما كان عاقبتهم جهنم جعل كانهم خلقوا لها فرارا عن ارادة المعاصى عدول عن الظاهر (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ (أولئك كالانعام) فى عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر (بل هم أضل) من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوى المكلف المأمور والمخلى المعذور فالآدمى روحانى شهوانى سماوى أرضى فان غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته بهائم الارض (أولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) التى هى أحسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شئ والباقى بعد كل شئ والقادر على كل شئ والعالم بكل شئ والواحد الذى ليس كمثله شئ ومنها ما تستحسنه الانفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخى يا رفيق لانه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد وألحد مال (سيجزون ما كانوا يعملون ومن خلقنا) للجنة لانه فى مقابلة ولقد ذرأنا لجهنم (أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)

في أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة الى الدين وفيه دلالة على ان اجماع كل عصر حجة (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا الى مايهلكهم (من حيث لا يعلمون) مايرادبهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم أثرة من الله تعالى وتقريب وانما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة (وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين أي أمهلهم (ان كيدي متين) أخذي شديد سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الجنون نزل (أولم يتفكروا مابصاحبهم) محمد عليه السلام ومانافية بعد وقف أي أولم يتفكروا في قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله مابصاحبهم (من جنة) جنون (ان هو الا نذير مبين) منذر من الله موضح انذاره (أولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت السموات والارض) الملكوت الملك العظيم (وماخلق الله من شئ) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشئ من أجناس لا يحصرها العدد (وأن عسى) ان مخففة من الثقيلة وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وماينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب (فبأي حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذ لم يؤمنوا به وهو متطق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كانه قيل لعل أجلهم قد اقترب فانهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به (من يضلل الله فلا هادي له) أي يضلله الله (ويذرهم) بالياء عراقي وبالجزم حمزة وعلى عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم والرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم الباقون بالنون (في طغيانهم) كفرهم (يعمهون) يتحيرون ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل (يسألونك عن الساعة) وهي من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) متى واشتقاقه من أي فعلان منه لان معناه أي وقت (مرساها) ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال أو وقت ارسائها أي اثباتها والمعنى متى يرسيها الله (قل انما علمها عند ربي) أي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك (لا يجليها لوقتها الا هو) لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده (ثقلت في السموات والارض) أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويتمنى أن ينجلي له علمها ويشق عليه

خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لان أهلها يخافون شدائدها وأهوالها (لا تأتيكم الا بغتة) فجأة على غفلة منكم (يسئلونك كانك حفى عنها) كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ فى السؤال عنها لان من بالغ فى المسئلة عن الشئ والتنقير عنه استحكم علمه فيها وأصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب أو عنها متعلق بيسئلونك أى يسئلونك عنها كانك حفى أى عالم بها (قل انما علمها عند الله) وكرر يسئلونك وانما علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كانك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه المختص بالعلم بها (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك الا ما شاء مالكى من النفع لى والدفع عنى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) أى لكانت حالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شئ منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى فى الحروب وقيل الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعتددت من الخصب للجدب والسوء الفقر وقدرد (ان أنا الا نذير وبشير) ان أنا الا عبد أرسلت نذيرا و بشيرا وما من شأنى ان أعلم الغيب واللام فى (لقوم يؤمنون) يتعلق بالنذير والبشير لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم أو بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف أى الانذير للكافرين و بشير لقوم يؤمنون (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هى نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه (ليسكن اليها) ليطمئن و يميل لان الجنس الى الجنس أميل خصوصا اذا كان بعضا منه كما يسكن الانسان الى ولده و يحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعد ما أنث فى قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم (فلما تغشاها) جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه (فمرت به) فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق أو حملت حملا خفيفا يعنى النطفة فمرت به فقامت به وقعدت (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح (لنكونن من الشاكرين) لك والضمير فى آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاهما صالحا) أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوى (جعلا له شركاء) أى جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) أى آتى أولادهما دليله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد

شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة. قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في أيشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك شركاء: بني وأبو بكر أي ذوي شرك وهم الشركاء (أيشركون مالا يخلق شيأ) يعني الاصنام (وهم يخلقون) أجريت الاصنام مجرى أولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون مالا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لان الله خالقهم أو الضمير في وهم يخلقون للعابدين أي أيشركون مالا يخلق شيأ وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كاولي العلم تغليبا للعابدين (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) الى ما هو هدى ورشاد والى أن يهدوكم أي وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما تجيبكم الله لا يتبعوكم نافع (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤس الآي (ان الذين تدعون من دون الله) أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أي مخلوقون مملوكون أمثالكم (فادعوهم) لجلب نفع أو دفع ضر (فليستجيبوا لكم) فليجيبوا (ان كنتم صادقين) في انهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها) مشيكم (أم لهم أيد يبطشون بها) يتناولون بها (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) أي فلم تعبدون ما هو دونكم (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عداوتي (ثم كيدون) جميعا أنتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه أبو عمرو في الوصل (فلا تنظرون) فاني لا أبالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر أن يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (ان وليي) ناصري عليكم (الله الذي نزل الكتاب) أوحى الي وأعزني برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم (والذين تدعون من دونه) من دون الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه (وهم لا يبصرون) المرئي (خذ العفو) هو ضد الجهد أي ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجميل من الافعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرها جبريل

عليه السلام بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق أمر الله نبيه عليه السلام بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) واما ينخسنك منه نخس أى بان يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه والنزغ النخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبى بكر رضى الله عنه ان لى شيطانا يعترينى (انه سميع) لنزغه (عليم) بدفعه (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) طيف مكى وبصرى وعلى أى لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن أبى عمرو هما واحد وهى الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فاذا هم مبصرون) فابصروا السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته أن يفروا منه الى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله (واخوانهم) وأما اخوان الشياطين من شياطين الانس فان الشياطين (يمدونهم فى الغى) أى يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم يمدونهم من الامداد مدنى (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجاز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول أوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير فى اخوانهم والشيطان مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبيتها) هلا اخترتها أى اختلقتها كما اختلقت ما قبلها (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضى الله عنهم على انه فى استماع المؤتم وقيل فى استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح (واذكر ربك فى نفسك) هو عام فى الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء أدخل فى الاخلاص وأقرب الى حسن التفكر (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين وقيل المراد ادامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهى الغدوات والآصال جمع أصل والاصل جمع أصيل وهو العشى (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه (ان الذين عند ربك) مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ويسبحونه) وينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم

﴿ سورة الانفال مدنية وهى خمس أوست أوسبع وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله كيف نقسم ولمن الحكم فى قسمتها للمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر فى قسمتها مفوضا الى رأى أحد (فاتقوا الله) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين فى الله (وأصلحوا ذات بينكم) أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أى فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كاملى الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه (واذا تليت عليهم آياته) أى القرآن (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لان تظاهر الادلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم ايمانا بتلك الآيات لانهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلا سأله أمؤمن أنت قال ان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون الآية فلا أدرى أنا منهم أم لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا يتشبث من يقول أنا مؤمن ان شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى

وعن ابراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقا فان صدقت أنبت عليه وان كذبت فكفرك أشد من كذبك وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحمد فقال ايش اسمك فقال أحمد فقال أتقول أنا أحمد حقا أو أنا أحمد ان شاء الله فقال أنا أحمد حقا فقال حيث سماك والدك لا تستثنى وقد سماك الله فى القرآن مؤمنا تستثنى (لهم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال (عند ربهم ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) صاف عن كدر الاكتساب وخوف الحساب الكاف فى (كما أخرجك ربك) فى محل النصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها كاختصاص البيت لساكنه (بالحق) اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فأخبر جبريل النبى عليه السلام فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهو النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فأبى وسار بمن معه الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال العير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فانا معك حيث أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله أبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل أن يكونوا مخلصين وأن يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهبين له (يجادلونك فى الحق) الحق

الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لا يثاره عليه تلقى العير (بعد ماتبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون وجد الهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال (كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يساربهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذكروا حدى مفعولا ثان (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير واذ يعدكم الله أن احدى الطائفتين لكم (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم أى تتمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله أن يحق الحق) أى يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم فى قليب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم يقال دابر الا آخر فاعل من دبر اذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائدة العاجلة وغير ذات الشوكة والله تعالى يريد معالى الامور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أى ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا تكرارا لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أى ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخليص من المكروه (فاستجاب لكم) فأجاب وأصل (أنى ممدكم) بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله (بألف من الملائكة مردفين) مدنى غيره بكسر الدال وفتحها فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم والفتح على أنه أردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفه اذا تبعه وأردفته اياه اذا اتبعته (وما جعله الله) أى الامداد الذى دل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) يعنى انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله واختلف فى قتال

الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على رضى الله عنه فى صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لا أنتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) ينصر أوليائه (حكيم) بقهر أعدائه (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار اذكر يغشيكم مدنى (النعاس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكى وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أى اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أى لامنكم أو مصدر أى فامنتم أمنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس (منه) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (وينزل) بالتخفيف مكى وبصرى وبالتشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليطهركم به) بالماء من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش أو الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان وقد وسوس اليهم ان لا نصرة مع الجنابة (ويربط على قلوبكم) بالصبر (ويثبت به الاقدام) أى بالماء اذ الاقدام كانت تسوخ فى الرمل أو بالربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر يثبت القدم فى مواطن القتال (اذ يوحى) بدل ثالث من اذ يعدكم أو منصوب بيثبت (ربك الى الملائكة أنى معكم) بالنصر (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف فى صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) هو امتلاء القلب من الخوف والرعب شامى وعلى (فاضربوا) أمر للمؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على أنهم قاتلوا (فوق الاعناق) أى أعالى الاعناق التى هى المذابح تطييرا للرؤس أو أراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعنى ضرب الهام (واضربوا منهم كل بنان) هى الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما أن يقع على مقتل أو غير مقتل فامرهم أن يجمعوا عليهم النوعين (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بانهم شاقوا الله ورسوله) أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أى مخالفتهم وهى مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين فى شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا فى عدوة وخصم أى جانب وذاك فى عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) والكاف فى ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم فذوقوه) والواو فى (وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كانه يزحف أى يدب

دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر (فلا تولوهم الادبار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا) مائلا (لقتال) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضما (الى فئة) الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في يولهم (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا امتلأ بعينه فانهزموا قيل (وما رميت) يا محمد (اذ رميت ولكن الله رمى) يعني ان الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامي وحمزة وعلي (وليبلي المؤمنين) وليعطيهم (منه بلاء حسنا) عطاء جميلا والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) باحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الامر ذلكم (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم أي المراد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين موهن كيد شامي وكوفي غير حفص موهن كيد حفص موهن غيرهم (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين أرادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على الحق فانصرنا وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين أي (وان تنتهوا) عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو) أي الانتهاء (خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (ولن تغني عنكم فئتكم) جمعكم (شيأ ولو كثرت) عددا (وان الله مع المؤمنين) بالفتح مدني وشامي وحفص أي ولان الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبد الله وان الله مع المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا الله ورسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع

الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فى فلان او يرجع الضمير الى الامر بالطاعة أى ولا تتولوا عن هذا الامر وامتثاله وأصله ولا تتولوا فحذف احدى التاءين تخفيفا (وأنتم تسمعون) أى وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أى ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أى ان شر من يدب على وجه الارض البهائم وان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) فى هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لاسمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين (ولو أسمعهم لتولوا) عنه أى ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

أو لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم أو للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى التمكن من اخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه (وانه اليه تحشرون) واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة (واتقوا فتنة) عذابا (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هو جواب للامر أى ان أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الامر لان فيه معنى النهى كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحنك ومن فى منكم للتبعيض (واعلموا أن الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا اذ أنتم قليل) ادمعمول به لاظرف أى واذكروا وقت كونكم أقلة أذلة (مستضعفون في الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فآواكم) الى المدينة (وأيدكم بنصره) بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم

(لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بأن تعطلوا فرائضه (والرسول) بأن لا تستنوا به (وتخونوا) جزم عطف على لا تخونوا أى ولا تخونوا (أماناتكم) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك وو باله أو وأنتم تعلمون انكم تخونون يعنى ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما ان معنى الايفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل فى ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان فيه (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم والعذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده (وأن الله عنده أجر عظيم) فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز أهله أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويثبت صيتكم وآثاركم فى أقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان رفعة لا ومزية فى الدنيا والآخرة (ويكفر عنكم سيآتكم) أى الصغائر (ويغفر لكم) ذنوبكم أى الكبائر (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (واذ يمكر بك الذين كفروا) لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما أسلمت الانصار فرقوا (٣) أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واستراحتم فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ان لا يبيت فى مضجعه وأذن له الله فى الهجرة فأمر عليا فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه ان يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتفوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليحبسوك ويوثقوك (أو يقتلوك) بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويمكرون) ويخفون

(٣) الفرق الخوف وقد فرق منه من باب طرب اه مختار

المكايد له (ويمكر الله) ويخفى الله ما أعدلهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية فى قراءته فقال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأحاديث العجم فنزل (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) وهذا صلف منهم ووقاحة لانهم دعوا الى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به (واذ قالوا اللهم ان كان هذا) أى القرآن (هو الحق من عندك) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روى ان النضر لما قال ان هذا الا أساطير الاولين قال له النبى عليه السلام ويلك هذا كلام الله فرفع النضر رأسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك (فامطر علينا حجارة من السماء) أى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل (أو ائتنا بعذاب أليم) بنوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين (ومالهم ألا يعذبهم الله) أى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم ومالهم ألا يعذبهم الله (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فقيل (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم (ان أولياؤه الا المتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم (وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء) صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكا يمكو اذا صفر (وتصدية) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاته يخلطون

عليه

عليه (فذوقوا العذاب) عذاب القتل والاسر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم ونزل فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذا نها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام فى (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أى من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حمزة وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه (فيجعله فى جهنم) أى الفريق الخبيث (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أى أبى سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول فى الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنت الاولين) بالاهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى أو معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله فى ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على اسلامهم (وان تولوا) أعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره والمخصوص بالمدح محذوف (واعلموا أن ما غنمتم) ما بمعنى الذى ولا يجوز أن يكتب الا مفصولا اذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه (من شئ) بيانه قيل حتى الخيط والمخيط (فأن لله خمسه) والفاء انما دخلت لما فى الذى من معنى المجازاة وان وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدا تقديره فالحكم أن لله خمسه (وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فالخمس كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه

كان على ستة لله والرسول سهمان وسهم لاقاربه فاجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء رضى الله عنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه (ان كنتم آمنتم بالله) فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وما أنزلنا) معطوف على بالله أى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (على عبدنا يوم الفرقان) يوم بدر (يوم التقى الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان (والله على كل شئ قدير) يقدر على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر (اذ أنتم) بدل من يوم الفرقان أو التقدير اذكروا اذ أنتم (بالعدوة) شط الوادى وبالكسر فيهما مكى وأبو عمرو (الدنيا) القربى الى جهة المدينة تأنيث الادنى (وهم بالعدوة القصوى) البعدى عن المدينة تأنيث الاقصى وكلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الاعلى وأما القصوى فكالقود فى مجيئه على الاصل (والركب) أى العير وهو جمع راكب فى المعنى (أسفل منكم) نصب على الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم يعنى فى أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا (ولو تواعدتم) أنتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لاختلفتم فى الميعاد) لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ما وفقه الله وسببه له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تتعلق بمحذوف أى ليقضى الله أمرا كان ينبغى ان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أى ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا أوليتم أمرا كان قد أراده وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) حيى نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثلين والاظهار لان حركة الثانى غير لازمة لانك تقول فى المستقبل يحيا والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين وان العير كانت أسفل منهم مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهى خبار (٣) تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع) لاقوالهم (عليم) بكفر من

(٣) فى القاموس الخبار كسحاب ما لان من الارض واسترخى

كفر وعقابه و بايمان من آمن وثوابه (اذ يريكهم الله) نصب باضمار اذكر أو هو متعلق بقوله لسميع عليم أى بعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك (فى منامك قليلا) أى فى رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم فى رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم وهبتم الاقدام (ولتنازعتم فى الامر) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذ يريكموهم) الضميران مفعولان أى واذ يبصركم اياهم (اذ التقيتم) وقت اللقاء (فى أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بان يستر الله بعضهم بستر أو يحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ذيك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحمزة وعلى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره (وأطيعوا الله ورسوله) فى الامر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما (ولا تنازعوا فتفشلوا) فتجبنوا وهو منصوب باضماران ويدل عليه (وتذهب ريحكم) أى دولتكم يقال هبت ريح فلان اذا دانت له الدولة ونفذ أمره شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا) فى القتال مع العدو وغيره (ان الله مع الصابرين) أى معينهم وحافظهم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس) هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان وتطعم بها العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم

أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله والبطر أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها (ويصدون عن سبيل الله) دين الله (والله بما يعملون محيط) عالم وهو وعيد (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) واذكر اذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون وغالب مبني نحو لا رجل ولكم في موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم (وانى جار لكم) أي مجير لكم أو هممهم ان طاعة الشيطان مما يجيرهم (فلما تراءت الفئتان) فلما تلاقى الفريقان (نكص) الشيطان هاربا (على عقبيه) أي رجع القهقرى (وقال انى برىء منكم) أي رجعت عما ضمنت لكم من الامان روى ان ابليس تمثل لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معه راية فلما رأى الملائكة تنزل نكص فقال له الحرث بن هشام أتخذلنا في هذه الحالة فقال (انى أرى مالا ترون) أي الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان (انى أخاف الله) أي عقوبته (والله شديد العقاب) اذكروا (اذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين في قلوبهم مرض) هو من صفة المنافقين أو أريد والذين هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام في الاسلام (غر هؤلاء دينهم) يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكل اليه أمره (فان الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (حكيم) لا يسوى بين وليه وعدوه (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد الماضي الى معنى الاستقبال (اذ) نصب على الظرف (يتوفى الذين كفروا) بقبض أرواحهم (الملائكة) فاعل (يضربون) حال منهم (وجوههم) اذا أقبلوا (وأدبارهم) ظهورهم وأستاههم اذا أدبروا أو وجوههم عند الاقدام وأدبارهم عند الانهزام وقيل في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء (وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به أو يقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى او من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله (ليس بظلام للعبيد) لان تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد أو لنفى أنواع الظلم الكاف في (كدأب آل فرعون) في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه (والذين من قبلهم)

من قبل قريش اومن قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب) والمعنى جروا على عادتهم فى التكذيب فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم فى التعذيب (ذلك) العذاب اوالانتقام (بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) بسبب ان الله لم يصح فى حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركى مكة حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية الى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة الى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا فى اراقة دمه غيروا حالهم الى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد اولان فى الاولى الاخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم) وفى قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق (فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) بماء البحر (وكل) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصى (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) اى أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الايمان (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا اى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) فى كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار (فاما تثقفنهم فى الحرب) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نكثا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على استواء منك ومنهم فى العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم اى حاصلين على استواء فى العلم (ان الله لا يحب الخائنين) الناقضين للعهود (ولا يحسبن) بالياء وفتح السين شامى وحمزة ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين أبو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا) فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (انهم لا يعجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم أنهم شامى اى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول والثانى سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره ان يسبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة اى انهم سبقوا فسد مسد المفعولين او يكون الفاعل مضمرا اى ولا

يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بيناه من عدم تفرده بها وعن الزهري انها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وأعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لناقضي العهد أو لجميع الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وفي الحديث ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا على المنبر وقيل هي الحصون (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل وميكال (ترهبون به) بما استطعتم (عدو الله وعدوكم) أي أهل مكة (وآخرين من دونهم) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم بأعيانهم (الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم) يوفر عليكم جزاؤه (وأنتم لا تظلمون) في الجزاء بل تعطون على التمام (وان جنحوا) مالوا جنح له واليه مال (للسلم) للصلح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) فل اليها (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم (انه هو السميع) لاقوالك (العليم) باحوالك (وان يريدوا أن يخدعوك) بمكر وا و يغدروا (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذي أيدك) قواك (بنصره وبالمؤمنين) جميعا أو بالانصار (وألف بين قلوبهم) قلوب الاوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أي بلغت عداوتهم مبلغا لو أنفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر عليه (ولكن الله ألف بينهم) بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب وأماط عنهم التباغض والتماقت (انه عزيز) يقهر من يخدعونك (حكيم) ينصر من يتبعونك (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) هذه عدة من الله و بشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتاييده (بانهم قوم لا يفقهون) بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم و يعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم أن لا يفروا و يثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (الآن

خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) ضعفا عاصم وحمزة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفى وافقه البصرى فى الاولى والمراد الضعف فى البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وتكرير مقاومة الجماعة لاكثر منهما مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين (ما كان لنبى) ماصح له ولا استقام (ان يكون له أسرى) ان تكون بصرى (حتى يثخن فى الارض) الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر باشاعة القتل فى أهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبى عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهد واحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية (تريدون عرض الدنيا) متاعها يعنى الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه (والله يريد الآخرة) أى ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل (والله عزيز) بقهر الاعداء (حكيم) فى عتاب الاولياء (لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) أن لا يعذب أحدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لانهم نظروا فى ان استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفى عليهم ان قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله فى اللوح أن لا يعذب أهل بدر أو كان لا يؤاخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكرى القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته أى لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدا محذوف أى لولا كتاب بهذه الصفة فى الوجود وسبق لا يجوز أن يكون خبر الان لولا لا يظهر خبرها ابدا (لمسكم) لنالكم وأصابكم (فيما أخذتم) من فداء الاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان

الاثخان فى القتل أحب الىّ (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد احللت لكم الغنائم فكلوا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (طيبا) لذيذا هنيأ أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع (واتقوا الله) فلا تقدموا على شئ لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم) فى ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسير من الاسارى أبو عمرو وجمع أسرى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه أو يثيبكم فى الآخرة (و يغفر لكم والله غفور رحيم) روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ للصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فاخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وان أدناهم ليتجر فى عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ما ضمنوه من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) فأمكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة (والله عليم) بالمآل (حكيم) فيما أمر فى الحال (ان الذين آمنوا وهاجروا) من مكة حبا لله ورسوله (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أى آووهم الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أى يتولى بعضهم بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة و بالنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعاونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توليهم فى الميراث ولايتهم حمزة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذى لم يهاجر ممن آمن وهاجر ولما أبقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان (وان استنصروكم) أى من أسلم ولم يهاجر (فى الدين فعليكم النصر) أى ان وقع بينهم و بين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين (الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدؤن بالقتال اذا الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (الا

تفعلوه) أى الا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة (تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) تحصل فتنة فى الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لامنة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) جعلهم منهم تفضلا وترغيبا (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فى كتاب الله) فى حكمه وقسمته أو في اللوح أو فى القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) فيقضى بين عباده بما شاء من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا

﴿سورة التوبة مدنية وهى مائة وتسع وعشرون آية كوفى ومائة وثلاثون غيره﴾

لها أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة لان فيها التوبة على المؤمنين وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفي ترك التسمية فى ابتدائها أقوال فعن على وابن عباس رضى الله عنهم ان بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوها في الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدا محذوف أى هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان او مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والمعنى ان الله

ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) فسيروا فى الارض كيف شئتم والسيح السير على مهل روى انهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم وهى الاشهر الحرم فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحشهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال امرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أمنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة القتال فى الاشهر الحرم وان ذلك قد نسخ (واعلموا أنكم غير معجزى الله) لا تفوتونه وان أمهلكم (وأن الله مخزى الكافرين) مذلهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الى الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر (ان الله برىء من المشركين) أى بأن الله حذفت صلة الاذان تخفيفا (ورسوله) عطف على المنوى فى برىء أو على الابتداء وحذف الخبر أى ورسوله برىء وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان والجر على الجوار أو على القسم كقوله لعمرك وحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله برئ من رسوله فأنا منه برىء فليبه

الرجل الى عمر فشكى الاعرابى قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) أى التوبة (خير لكم) من الاصرار على الكفر (وان توليتم) عن التوبة أو تبتم على التولى والاعراض عن الاسلام (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من قوله فسيحوا فى الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد أى وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرئ لم ينقضوكم أى عهدكم وهو اليق لكن المشهورة أبلغ لانه فى مقابلة التمام (ولم يظاهروا عليكم أحدا) ولم يعاونوا عليكم عدوا (فأتموا اليهم عهدهم) فأدوه اليهم تاما كاملا (الى مدتهم) الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى أن لا يسوّى بين الفريقين فاتقوا الله فى ذلك (فاذا انسلخ) مضى وخرج (الاشهر الحرم) التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخذ الاسر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) أحد مرتفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أى وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمنه) داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود (ذلك) أى الامر بالاجارة فى قوله فأجره (بأنهم قوم لا يعلمون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمنه) داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود (ذلك) أى الامر بالاجارة فى قوله فأجره (بأنهم قوم لا يعلمون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استفهام فى معنى الاستنكار أى مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) ولم يظهر منهم نكث أى فما أقاموا على وفاء العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما

شرطية أى فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم (ان الله يحب المتقين) يعنى ان التربص بهم من أعمال المتقين (كيف وان يظهروا عليكم) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم أى يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق (لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعوا حلفا ولا قرابة (ولا ذمة) عهدا (يرضونكم بافواههم) بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وتأبى قلوبهم) الايمان والوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ناقضون العهد أو متمردون فى الكفر لا مروءة تمنعهم عن الكذب ولا شمائل ترد عهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عنهما (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى بئس الصنيع صنيعهم (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) ولا تكرار لان الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثانى على العموم لانه قال فى مؤمن (وأولئك هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم) فهم اخوانكم على حذف المبتدا (فى الدين) لا فى النسب (ونفصل الآيات) ونبينها (لقوم يعلمون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا العهود المؤكدة بالايمان (وطعنوا فى دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهمزتين كوفى وشامى الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة أصلها أأممة لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وادغمت فى الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (انهم لا أيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم التى أظهروها قال لا أيمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعى رحمه الله انهم لا يوفون بها الان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (لعلهم ينتهون) متعلق بفقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التى حلفوها فى المعاهدة (وهموا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادى أظلم

فما يمنعكم من أن تقاتلوهم و بخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) توبيخ على الخشية منهم (فالله أحق أن تخشوه) بان تخشوه فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فاخشوه اى ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالى بمن سواه ولما و بخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله (قاتلوهم) ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم وتصح نياتهم بقوله (يعذبهم الله بأيديكم) قتلا (ويخزهم) أسرا (وينصركم عليهم) يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما نالوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وهى ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) فى قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أم منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان اى لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) اى بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم و بين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقولك ما علم الله فىّ ما قيل فىّ تريد ما وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خبير بما تعملون) من خير وشر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مساجد الله) مسجد الله مكى و بصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع فى القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد أو اريد بجنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وهو آكد اذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باعترافهم بعبادة الاصنام وهو حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله و بعبادته (أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) دائمون (انما يعمر مساجد الله) عمارتها هو ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم

(١) عيبة الرجل موضع سره كما يؤخذ من القاموس

(من آمن بالله واليوم الآخر) ولم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله قرينة الايمان بالرسول لاقترانهما في الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها أودل عليه بقوله (وأقام الصلوة وآتى الزكوة) وفي قوله (ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في أبواب الدين بان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف اذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يمالك أن لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر فطفق علي رضي الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا فقيل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقي الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي رضي الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم) أولئك (أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم (يبشرهم ربهم) يبشرهم حمزة (برحمة منه ورضوان وجنات) تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان) أي آثروه واختاروه (ومن يتولهم منكم) أي ومن يتول الكافرين (فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقاربكم وعشيراتكم أبو بكر (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) والآية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة

عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا تجد عندأورع الناس ما يستصعب له دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التى نصر الله فيها النبى عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (ويوم) أى واذكروا يوم (حنين) وادبين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين ان نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام (اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فأدرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت فى مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه آخذا بركابه فقال للعباس صح بالناس وكان صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبسا بها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن اعدائكم فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التى سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبى النساء والذرارى (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وهم الذين أسلموا منهم (والله غفور) بستر كفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولى بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذوو نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية (بعد عامهم هذا) وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر رضى الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القربان النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعى رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه (وان خفتم عيلة) أى فقرا بسبب منع المشركين من الحج

وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حجيج الاسلام (ان شاء) هو تعليم لتعليق الامور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال اليه (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) في تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وأراد ونزل في أهل الكتاب (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) لان اليهود مشبهة والنصارى مثلثة (ولا باليوم الآخر) لانهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون ان لا أكل في الجنة ولا شرب (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة أو لا يعملون بما في التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين قبله وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهم بخلاف مشركي العرب لما روى الزهري أن النبي عليه السلام صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب (حتى يعطوا الجزية) الى أن يقبلوها وسميت جزية لانه يجب على أهلها أن يجزوه أي يقضوه أو هي جزاء على الكفر على التحميل في تذليل (عن يد) أي عن يد مواتية غير ممتنعة ولذا قالوا أعطى بيده اذا انقاد وقالوا نزع يده عن الطاعة أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ (وهم صاغرون) أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية يا ذمي وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام (وقالت اليهود) كلهم أو بعضهم (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون وهم عاصم وعلي فقد جعله عربيا (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم) أي قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) لابد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا يعني ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم يضاهئون عاصم وأصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهي التي أشبهت الرجال بانها لا تحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم الله) أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان (اتخذوا) أي أهل الكتاب (أحبارهم) علماءهم (ورهبانهم) نساكهم (أربابا) آلهة (من دون الله) حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الارباب في أوامرهم

ونواهيهم (والمسيح ابن مريم) عطف على أحبارهم أي اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا) يجوز الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا لواحدا (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن الاشراك (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده ويبالغ به الغاية القصوى من الاشراق ليطفئه بنفخه أجرى ويأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة يريدون والا لقيل كرهت أو أبغضت الا تزيدا (هو الذي أرسل رسوله) محمدا عليه السلام (بالهدى) بالقرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على أهل الاديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين (ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس) استعار الاكل للاخذ (بالباطل) أي بالرشا في الاحكام (ويصدون) سفلتهم (عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة) يجوز أن يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم أخذ الرشا وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى فليس بكنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه (ولا ينفقونها في سبيل الله) الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منهما دنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو أريد الكنوز والاموال أو معناه ولا ينفقون نها والذهب كما أن معنى قوله * فانى وقيار بها لغريب * وقيار كذلك وخصا بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قانون التمول وأثمان الاشياء وذكر كنزهما دليل على ما سواهما (فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى قوله (يوم يحمى عليها في نار جهنم) ان النار تحمى عليها أي توقد وانما ذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور وأصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم وما خيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم لانفسكم) يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفعوا به نفوسكم وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضروا به أنفسكم وهو توبيخ (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (ان عدة الشهور

عند الله اثنا عشر شهرا) من غير زيادة والمراد بيان ان أحكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالاهلة دون الشمسية (فى كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه أو فى اللوح (يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب اياه أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لا مايفعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الاربعة الاشهر هو الدين المستقيم ودين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسىء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم أو فى الاثنى عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصى (وقاتلوا المشركين كافة) حال من الفاعل أو المفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) أى ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها (انما النسىء) بالهمزة مصدر نسأه اذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة فى الكفر) أى هذا الفعل منهم زيادة فى كفرهم (يضل) كوفى غير أبى بكر (به الذين كفروا) بالنسىء والضمير فى (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) للنسىء أى اذا أحلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل (ليواطئوا عدة ما حرم الله) ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين واللام تتعلق بيحلونه ويحرمونه أو بيحرمونه فحسب وهو الظاهر (فيحلوا ما حرم الله) أى فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للاشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدى القوم الكافرين) حال اختيارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا (فى سبيل الله اثاقلتم) تثاقلتم وهو أصله الا أن التاء أدغمت فى الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن أى تباطأتم (الى الارض) ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى أى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه أى ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك فى غزوة تبوك استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ماخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحيوة الدنيا فى الآخرة) فى جنب الآخرة (الا قليل الا تنفروا) الى الحرب (يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا

منهم وأطوع وأنه غنى عنهم فى نصرة دينه لايقدح تثاقلهم فيها شيأ وقيل الضمير فى ولاتضروه للرسول عليه السلام لان الله وعده أن يعصمه من الناس وان ينصره ووعده كائن لامحالة (والله على كل شئ) من التبديل والتعذيب وغيرهما (قدير الاتنصروه فقد نصره الله) الاتنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الارجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت (اذ أخرجه الذين كفروا) أسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه أذن الله له في الخروج فكانهم أخرجوه (ثانى اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر وانتصابه على الحال (اذهما) بدل من اذ أخرجه (فى الغار) هو نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان (لصاحبه لاتحزن ان الله معنا) بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان نصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبى بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (فانزل الله سكينته) ما ألقى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها وعلم انهم لايصلون اليه (عليه) على النبى صلى الله عليه وسلم أو على أبى بكر لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب (وأيده بجنود لم تروها) هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه أو أيده بالملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين (وجعل كلمة الذين كفروا) أى دعوتهم الى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته الى الاسلام (هى) فصل (العليا) وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أوجه اذ هى لم تزل كانت عالية (والله عزيز) يعز بنصره أهل كلمته (حكيم) يذل أهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) فى النفور لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا (وجاهدوا باموالكم وأنفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو باحدهما على حسب الحال والحاجة (فى سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أى لو كان ما دعوا اليه مغنما (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا والقاصد والقصد المعتدل (لاتبعوك) لوافقوك في الخروج (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة الشاطة الشاقة (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) من دلائل النبوة لانه أخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما أخبر وبالله متعلق بسيحلفون أو

هو من جملة كلامهم والذول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كانهم تمارضوا (يهلكون أنفسهم) بدل من سيحلفون أو حال منه أي مهلكين والمعنى انهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من لخرجنا أي لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم انهم لكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام (لم أذنت لهم) بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لتركه الافضل وهم يعاتبون على ترك الافضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في ان يجاهدوا (بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتابت قلوبهم) شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم (فهم في ريبهم يترددون) يتحيرون لان التردد يدن المتحير كما أن الثبات يدن المستبصر (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له) للخروج أو للجهاد (عدة) أهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم (فثبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه (وقيل اقعدوا) أي قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالوسوسة (مع القاعدين) هوذم لهم والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم ما زادوكم) بخروجهم معكم (الا خبالا) الافساد او شرا والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيأ الا خبالا والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعضه (ولاوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع وأوضعته أنا

والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب أسرع من الماشى وخط فى المصحف ولا أوضعوا بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من تلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحنه (يبغونكم) حال من الضمير فى أوضعوا (الفتنة) أى يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم (والله عليم بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصد الناس أو بأن يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة أو بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوّروا الآراء فى ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أى على رغم منهم (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بأن لا تأذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك أثمت أو لا تلقنى فى الهلكة فانى اذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى (ألا فى الفتنة سقطوا) يعنى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الآن لان أسباب الاحاطة معهم أو هى تحيط بهم يوم القيامة (ان تصبك) فى بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة فى بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أى قضى من خير أو شر (هو مولانا) أى الذين يتولانا ونتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) احدى السوأيين اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) فى وجوه البر (طوعا أو كرها) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حمزة وعلى وهو أمر فى معنى الخبر ومعناه (لن يتقبل منكم) أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله

أسيئى بنا أو احسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا أو أحسنت وقد جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول انه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها

أولا يثيبهما الله وقوله طوعا أى من غير إلزام من الله ورسوله وكرها أى ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان إلزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (كنتم قوما فاسقين) متمردين عاتين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) وبالياء حمزة وعلى (الا أنهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم (بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا) الاعجاب بالشئ ان تسر به سرورا راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فان الله انما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها أو بالانفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له أو ينهب أموالهم وسبى أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصلح لانه أخبر أن اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصى لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الاماتة على الكفر (ويحلفون بالله انهم لمنكم) ان جملة المسلمين (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل ومايفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) مكانا يلجؤن اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيرانا (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شئ من الفرس الجموح (ومنهم) ومن المنافقين (من يلمزك في الصدقات) يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) اذا للمفاجأة أى وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لانه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يوم حنين بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة أى هي مختصة بهم

لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزاك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها الى الاصناف وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لان عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لانه لا يجد شيأ فهو أضعف حالا منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس (والعاملين عليها) هم السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) على الاسلام أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الاسلام (وفي الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها (والغارمين) الذين ركبتهم الديون (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى في الاربعة الاخيرة للايذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولما قسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم (والله عليم) بالمصلحة (حكيم) في القسمة (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والفرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال (قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وعدي فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبئ عن الباء (ورحمة) بالعطف على أذن ورحمة حمزة عطف على خير أي هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع

غيرهما ولا يقبله (للذين آمنوا منكم) أى وهو رحمة للذين آمنوا منكم أى أظهروا الايمان أيها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم فى الآخرة بايمانهم فى الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) فى الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) أى ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا فى حكم شئ واحد كقولك احسان زيد واجماله رفعنى أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الامر والشأن (من يحادد الله ورسوله) يجاوز الحد بالخلاف وهى مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فأن له) على حذف الخبر أى فحق أن له (نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون) خبر بمعنى الامر أى ليحذر المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكى وبصرى (تنبئهم بما فى قلوبهم) من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم دليله قل استهزؤا أو الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه (قل استهزؤا) أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفى استهزائهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت أنى قدمت فجلدت مائة وانه لا ينزل فينا شئ يفضحنا (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا أنظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله لا والله ما كنا فى شئ من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أى ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض ونلعب (قل) يا محمد (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد أظهرتم كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه ان يعف تعذب طائفة غير عاصم (المنافقون والمنافقات) الرجال

المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أى كأنهم نفس واحدة وفيه نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يأمرون بالمنكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات والانفاق فى سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف به المنافقون حين بالغ فى ذمهم (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هى) أى النار (حسبهم) فيه دلالة على عظم عذابها وانه بحيث لا يزاد عليه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقيم) دائم معهم فى العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم الكاف فى (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) محلها رفع أى أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أى تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أى ما خلق الانسان بمعنى قدر من خير (وخضتم) فى الباطل (كالذى خاضوا) كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوا والخوض الدخول فى الباطل واللهو وانما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليندم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) فى مقابلة قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بدل من الذين (وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير الى الشر (أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم) فاصح منه أن يظلمهم باهلاكهم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) فى التناصر والتراحم (يأمرون بالمعروف) بالطاعة والايمان (وينهون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة

لا محالة فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد فى سأنتقم منك يوما (ان الله عزيز) غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد (فى جنات عدن) هو علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن وقد عرفت أن الذى والتى وضعا لوصف المعارف بالجمل وهى مدينة فى الجنة (ورضوان من الله) وشئ من رضوان الله (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ما وعد أو الى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا (يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه ٣ منهم الجلاس بن سويد فقال والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصارى للجلاس أجل والله ان محمدا صادق وأنت شر من الحمير وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير أو هى استهزاؤهم فقال الجلاس يا رسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم (وهموا بما لم ينالوا) من قتل محمد عليه السلام أو قتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبى وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل الجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى (فان يتوبوا) عن النفاق (يك) الثواب (خيرا لهم) وهى الآية التى تاب عندها الجلاس (وان يتولوا) يصروا على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير) ينجيهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله

(٣) الذى فى الكشاف فيسمع من معه منهم منهم الجلاس الخ عليه

عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومر ابثعلبة فسألاه الصدقة فقال ماهذه الا جزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه (لئن آتانا من فضله) أي المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لنتصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد لقربها منها (ولنكونن من الصالحين) باخراج الصدقة (فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال ونالوا منا هم (بخلوا به) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) مصرون على الاعراض (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق (ألم يعلموا) يعني المنافقين (ان الله يعلم سرهم) ما أسروه من النفاق بالعزم على اخلاف ما وعدوه (ونجواهم) ومايتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شئ (الذين) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم (يلمزون المطوعين) يعيبون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بيلمزون روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت نساؤه عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجدون الا جهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه (فيسخرون منهم) فيهزؤن (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه نزل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) وقدمر أن هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن

يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لان فيها أوتارا ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون بجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك) اشارة الى اليأس من المغفرة (بأنهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) ولا غفران للكافرين (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الايمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له او حال اى قعدوا لمخالفته او مخالفين له (وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) اى لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما فى المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا لا تنفروا فى الحر) قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) اى فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم فى الدنيا ويبكون كثيرا جزاء فى العقبى الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يبكون فى النار بعمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم (جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعك الله) اى ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة بعد غزوة تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا) وبسكون الياء حمزة وعلى وأبو بكر (ولن تقاتلوا معى عدوا) معى حفص (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) أول ما دعيتم الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبد الله بن أبى وكان مؤمنا ان يكفن النبى صلى الله عليه وسلم اباه فى قميصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضى الله عنه فى ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنت أرجو أن يؤمن به ألف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعنى صلاة الجنازة روى انه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبى صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أبدا) ظرف لتصل وكان عليه السلام

اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل (ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهى أى انهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية فى فرقة غير الفرقة الاخرى (واذا أنزلت سورة) يجوز ان يراد سورة بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بان آمنوا أو هى ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم) ذو والفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) مع الذين لهم عذر فى التخلف كالمرضى والزمنى (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فهم لا يفقهون) ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) هو من عذر فى الامر اذا قصر فيه وتوانى وحقيقته أن يوهم ان له عذرا فيما فعل ولا عذر له أو المعتذرون بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا فى التخلف (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقو الاعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا فظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (ليس على الضعفاء) الهرمى والزمنى (ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبنى عذرة (حرج) اثم وضيق فى التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بان آمنوا فى السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (ما على المحسنين) المعذورين الناصحين (من سبيل) أى لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (والله غفور) يغفر تخلفهم (رحيم) بهم (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيهم الحمولة (قلت) حال من الكاف فى أتوك وقد قبله مضمرة أى اذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) هو جواب اذا (وأعينهم تفيض من الدمع) أى تسيل كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز أن يكون قلت لا أجد استئنافا كانه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (حزنا) مفعول له (ألا يجدوا ما ينفقون) لئلا

يجدوا ما ينفقون ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون أبو موسى الاشعرى وأصحابه أو البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار (انما السبيل على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا (بان يكونوا مع الخوالف) أى بالانتظام فى جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم) يقيمون لانفسهم عذرا باطلا (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) بالباطل (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم وهو علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لانه تعالى اذا أوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم وما فى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله عملكم ورسوله) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى تردون اليه وهو عالم كل سر وعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم على حسب ذلك (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) لتتركوهم ولا تو بخوهم (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم أى ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم أرجاس لا سبيل الى تطهيرهم (ومأواهم جهنم) ومصيرهم النار يعنى وكفتهم النار عتابا وتو بيخا فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) أى يجزون جزاء كسبهم (يحلفون لكم لترضوا عنهم) أى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وانما قيل ذلك لئلا يتوهم ان رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء (وأجدر ان لا يعلموا) وأحق بان لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعنى حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة فى الفدادين يعنى الاكرة لانهم يفدون أى يصيحون فى حروثهم والفديد الصياح (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فى امهالهم (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق) أى يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أى عليهم تدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين السوء مكى وأبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى مقابلة قولك رجل صدق (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرونه (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق) فى الجهاد والصدقات (قربات) أسبابا للقربة (عند الله) وهو مفعول ثان ليتخذ (وصلوات الرسول) أى دعاءه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين

بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى (الا انها) اى النفقة او صلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرف التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم الله فى رحمته) جنته وما فى السين من تحقيق الوعد وما دل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستر عيب المخل (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) تبيين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او بيعة الرضوان (والانصار) عطف على المهاجرين اى ومن الانصار وهم أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين (والذين اتبعوهم باحسان) من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والخبر (رضى الله عنهم) باعمالهم الحسنة (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية (وأعد لهم) عطف على رضى (جنات تجرى تحتها الانهار) من تحتها مكى (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يعنى حول بلدتكم وهى المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة وأسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدا الذى هو ممن حولكم والمبتدا منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن أهل المدينة قوم (مردوا على النفاق) اى تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم) اى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم فى تحامى ما يشككك فى أمرهم ثم قال (نحن نعلمهم) اى لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر فى سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين (سنعذبهم مرتين) هما القتل وعذاب القبر او الفضيحة وعذاب القبر او أخذ الصدقات من أموالهم ونهك أبدانهم (ثم يردون الى عذاب عظيم) اى عذاب النار (وآخرون) اى قوم آخرون سوى المذكورين (اعترفوا بذنوبهم) اى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بانهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين اوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيأ فنزل خذ من أموالهم صدقة (خلطوا عملا

صالحا) خروجا الى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه أو التوبة والاثم وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما أى شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق فيتناسبان أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة (خذ من أموالهم صدقة) كفارة لذنوبهم وقيل هى الزكاة (تطهرهم) عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث والتاء فى (وتزكيهم) للخطاب لا محالة (بها) بالصدقة والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة فى المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها (ان صلواتك) صلاتك كوفى غير أبى بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لانها للجنس (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما فى ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد المتوب عليهم أى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت (ويأخذ الصدقات) ويقبلها اذا صدرت على خلوص النية وهو للتخصيص أى ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) يعفو الحوبة (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى فان عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت وقوله تعالى فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تذكير ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لامر الله) بغير همز مدنى وكوفى غير أبى بكر مرجؤن غيرهم من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر أمر الله فيهم (إما يعذبهم) ان أصروا ولم يتوبوا (واما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليم) برجائهم (حكيم) فى ارجائهم واما للشك وهو راجع الى العباد أى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم

ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شدأنفسهم على السوارى واظهار الجزع والندم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بفتح الواو مدنى وشامى وهو مبتدأ خبره محذوف أى جازيناهم روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام (ضرارا) مفعول وكذا ما بعده أى مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فارادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا لمن) واعدادا لاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (من قبل) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق (وليحلفن) كاذبين (ان أردنا الا الحسنى) ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لا تقم فيه أبدا) للصلاة (لمسجد أسس على التقوى) اللام للابتداء وأسس نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (من أول يوم) من أيام وجوده قيل القياس فيه مذ لانه لابتداء الغاية فى الزمان ومن لابتداء الغاية فى المكان والجواب ان من عام فى الزمان والمكان (أحق ان تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أنتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى

تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشئ ومعنى محبة الله اياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (أفمن أسس بنيانه) وضع أساس مايبنيه (على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى والشفا الجرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بألف فاعل انما هي عينه وأصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ولاترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفمن أسس بنيانه أمن أسس بنيانه شامي ونافع جرف شامي وحمزة ويحيي هار بالامالة أبو عمر و وحمزة في رواية ويحيي (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجئ بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصوران المبطل كانه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (والله لايهدي القوم الظالمين) لايوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لايزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم (الا أن تقطع قلوبهم) شامي وحمزة وحفص أي تتقطع غيرهم تقطع أي الا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وماهو كائن منه بقتلهم اوفى القبور أوفى النار أومعناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم (والله عليم) بعزائمهم (حكيم) في جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لانقيله ولانستقيله فخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون في سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أي تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلي (وعدا عليه) مصدر أي وعدهم بذلك وعدا (حقا)

صفته أخبر بان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعدنا بت قد أثبته (فى التوراة والانجيل والقرآن) وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لايقدم عليه الكريم منافكيف باكرم الاكرمين ولاترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة ومابعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق (الحامدون) على نعمة الاسلام (السائحون) الصائمون لقوله عليه السلام سياحة أمتى الصيام أو طلبة العلم لانهم يسيحون فى الارض يطلبونه فى مظانه أو السائرون فى الارض للاعتبار (الراكعون الساجدون) المحافظون على الصلوات (الآمرون بالمعروف) بالايمان والمعرفة والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى ودخلت الواو للاشعار بأن السبعة عقد تام أو للتضاد بين الامر والنهى كما فى قوله ثيبات وأبكارا (والحافظون لحدود الله) أوامره ونواهيه أو معالم الشرع (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام أن يستغفر لابى طالب فنزل (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) أى ماصح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من بعد ماظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر ابراهيم فقال (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) أى وعد أبوه اياه أن يسلم أو هو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لاستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله اعطاء الاسلام الذى به يغفر له (فلما تبين) من جهة الوحى (له) لابراهيم (أنه) ان أباه (عدو لله) بأن يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه (تبرأ منه) وقطع استغفاره (ان ابراهيم لاواه) هو المتأوه شفقا وفرقا ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حليم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن الاذى لانه كان يستغفر لابيه وهو يقول لارجمنك (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) أى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لايؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولايخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون مايجب اتقاؤه للنهى فأما مالم يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى

المنافقين (من يقول) بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) يقينا وثباتا أو خشية أو ايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا (وهم يستبشرون) بعدون زيادة التكليف بشارة التشريف (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق فهو فساد يحتاج الى علاج كالفساد في البدن (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أولا يرون) يعني المنافقين وبالتاء حمزة خطاب للمؤمنين (أنهم يفتنون) يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لا يعتبرون أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاصطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قمتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم (عزيز عليه ما عنتم) شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفوض اليه أمورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم (لا إله الا هو عليه توكلت) فوضت أمري اليه (وهو رب العرش) هو أعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعز عن أبي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

﴿سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية﴾
(وكذا ما بعدها الى سورة النور)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) ونحوه مما ل حمزة وعلي وأبو عمرو وهو تعديد للحروف على طريق التحدي (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (الحكيم)

ذى الحكمة لاشتماله عليها اوالمحكم عن الكذب والاقتراف والهمزة فى (أكان للناس عجبا) لانكار التعجب والتعجيب منه (أن أوحينا) اسم كان وعجبا خبره واللام فى للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا (الى رجل منهم أن أنذر الناس) بأن أنذروا هى مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا أن لهم) بأن لهم ومعنى اللام فى للناس انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه والذى تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم اوالفقير ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار للنبوة من جميع أسبابها والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من أسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء (قدم صدق عند ربهم) اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المساعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعالان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير واضافتها الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة اومقام صدق اوسبق السعادة (قال الكافرون ان هذا) الكتاب (لسحر مبين) مدنى وبصرى وشامى ومن قرأ لساحر فهذه اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين فى تسميته سحرا (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) اى استولى فقد يقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود (يدبر) يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة (الامر) اى أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والارض والعرش ولما ذكر مايدل على عظمته وملكه من خلق السموات والارض والاستواء على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لايخرج أمر من الامور عن قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيع الا من بعد اذنه) دليل على عزته وكبريائه (ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذى يستحق العبادة (فاعبدوه) وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان اوملك فضلا عن جماد لايضر ولاينفع (أفلا تذكرون) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع (اليه مرجعكم جميعا) حال اى لاترجعون فى العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع اومكان الرجوع (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم (حقا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (أنه يبدأ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء الملكفين على أعمالهم (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى اى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم او بقسطهم اى

بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا اذ الشرك ظلم ان الشرك لظلم عظيم وهذا أوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ولوجه كلامى (هو الذى جعل الشمس ضياء) الياء فيه منقلبة عن واو وضواء لكسرة ما قبلها وقلبها قنبل همزة لانها للحركة أجل (والقمر نورا) والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس (وقدره) وقدر القمر أى وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أى عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص وبالنون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان فى اختلاف الليل والنهار) فى مجىء كل واحد منهما خلف الآخر أو فى اختلاف لونيهما (وما خلق الله فى السموات والارض) من الخلائق (لآيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق أو لا يؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحيوة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبر ان (أولئك مأواهم النار) فاولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء فى (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على أن الايمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح (فى جنات النعيم) متعلق بتجرى أو حال من الانهار (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أى دعاؤهم لان اللهم نداء الله ومعناه اللهم انا نسبحك أى يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لا عبادة (وتحيتهم فيها سلام) أى يحيى بعضهم بعضا بالسلام أو هى تحية الملائكة اياهم وأضيف المصدر الى المفعول أو تحية الله لهم (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (أن الحمد لله رب العالمين) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة وأصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشان قيل أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر

والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضى اليهم أجلهم) لاميتوا وأهلكوا والقضى اليهم أجلهم شامل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهون) يتردد دون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم فى طغيانهم أى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم (واذا مس الانسان) أصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) أى دعا الله لازالته (لجنبه) فى موضع الحال بدليل عطف الحالين أى (أوقاعدا أوقائما) عليه أى دعانا مضطجعا وفائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أو قاعدا لا يقدر على القيام أو قائما لا يطيق المشى (فلما كشفنا عنه ضره) أزلناه ما به (مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه) أى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد فى الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو فى (وجاءتهم رسلهم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا ليؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا الان الله علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا أو اعتراض واللام لتأكيد النفى يعنى أن السبب فى اهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله أنه لا فائدة فى امهالهم بعد ان ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك (نجزى القوم المجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى أهلكناها (لننظر كيف تعملون) أى لننظر أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف فى محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بما ضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظهم ما فى القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله) بأن تجعل

مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بأن يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لى) ما يحل لى (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى (ان أتبع الا ما يوحى الى) لأتبع الا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى أتيت به من عند الله لا من عندى فابدله (انى أخاف ان عصيت ربى) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة وأما الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الأنهم كانوا لا يعترفون بالعجز و يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحى لقوله انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وغرضهم فى هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختيار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره أمر اعجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يغلب كل كلام فصيح و يعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التى لا يعلمها الا الله (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أى فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيأ من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم و بيان فتتهمونى باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قوله ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى أنه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما أضافوه اليه من الافتراء (أو كذب بآياته) بالقرآن فيه بيان ان الكاذب على الله والمكذب بآياته فى الكفر سواء (انه لا يفلح المجرمون و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم) ان تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء) أى الاصنام (شفعاؤنا عند الله) أى فى أمر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل أتنبئون الله بما لا يعلم) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيأ وقوله (فى السموات ولا فى الارض) تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو معدوم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه ذاته عن ان يكون له شريك و بالتاء حمزة وعلى وما موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين تشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل أو بعده

الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (فاختلفوا) فصاروا ملا (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة وهى إن هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أى آية من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) أى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات (واذا أذقنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصبا وسعة (من بعد ضراء مستهم) يعنى القحط والجوع (اذا لهم مكر فى آياتنا) أى مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روى انه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهى للفاجأة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أى وان تصبهم سيئة قنطوا واذا أذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وانما قال (قل الله أسرع مكرا) ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجأة دلت على ذلك كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعنى الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اعلام بان ما تظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير ينشركم شامى (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن (وجرين) أى السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (بريح طيبة) لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفرحوا بها) بتلك الريح للينها واستقامتها (جاءتها) أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف أى شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو ما علا على الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى الاهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الاهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجىء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن بالهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض) يفسدون فيها (بغير الحق)

باطلا أى مبطلين (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) أى ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (متاع الحيوة الدنيا) حفص أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر لبغيكم غيره بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على أمثالكم أو هو خبر ومتاع خبر بعد خبر أو متاع خبر مبتدأ مضمر أى هو متاع الحياة الدنيا وفى الحديث أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومن نكث فانما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فنخبركم به ونجازيكم عليه (انما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) من السحاب (فاختلط به) بالماء (نبات الارض) أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس) يعنى الحبوب والثمار والبقول (والانعام) يعنى الحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) زينتها بالنبات واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء فى الزاى وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الارض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم انه قد سلم (ليلا أو نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كان لم تغن) كان لم يغن زرعها أى لم يلبث حذف المضاف فى هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى (بالامس) هو مثل فى الوقت القريب كانه قيل كأن لم تغن آنفا (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فيتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه والتنبيه على حكمة التشبيه ان الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها كما أن صفو الماء فى أعلى الاناء قال

ألم تر أن العمر كاس سلافة * فاوله صفو وآخره كدر

وحقيقته تزيين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ورياحين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وتمام الاثم وشوك الشرك وشيح الشح وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فتزايله الحياة مغترا كما يهيج النبات مصفرا فتغيب جثته فى الرمس كأن لم تغن بالامس الى

أن يعود در بيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولا بد من ترك مازاد كما لا بد من أخذ الزاد وآخذ المال لا يخلو من زلة كما ان خائض الماء لا ينجو من بلة وجمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فساد دون النصاب بضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنهر حائل بين المجتاز والجواز الى المفاز لا يمكن الا بقنطرة وهى الزكاة وعمارتها بذل الصلات فمتى اختلت القنطرة غرقته أمواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الإسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دون الامجاد كما ان الماء يجتمع فى الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكد البخيل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء فى الكف (والله يدعوا الى دار السلام) هى الجنة أضافها الى اسمه تعظيما لها أو السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما (ويهدى من يشاء) ويوفق من يشاء (الى صراط مستقيم) الى الاسلام أو طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (للذين أحسنوا) آمنوا بالله ورسله (الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة (وزيادة) رؤية الرب عزوجل كذا عن أبى بكر وحذيفة وابن عباس وأبى موسى الاشعرى وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم وفى بعض التفاسير أجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع انه مرفوع قد أورده صاحب المصابيح فى الصحاح وقيل الزيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان (ولا يرهق وجوههم) ولا يغشى وجوههم (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا) عطف على للذين أحسنوا أى وللذين كسبوا (السيآت) فنون الشرك (جزاء سيئة بمثلها) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدرة بمثلها (وترهقهم ذلة) ذل وهوان (مالهم من الله) من عقابه (من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطعا مكى وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان اضافاؤه الى الموصوف كاضافته الى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم) أى الكفار وغيرهم (جميعا) حال

(ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم لاتبرحوا حتى تنظروا مايفعل بكم (أنتم) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فزيلنا) ففرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا (وقال شركاؤهم) من عبدوه من دون الله من أولى العقل أوالاصنام ينطقها الله عزوجل (ما كنتم ايانا تعبدون) انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم ان تتخذوا لله أندادا فاطعتموهم وهو قوله و يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فكفى بالله شهيدا بيننا و بينكم) أى كفى الله شهيدا وهو يميز (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها و بين النافية (هنالك) فى ذلك المكان أوفي ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو اقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ماقدمت تتلو حمزة وعلى أى تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة أوالنار أوتقرأ فى صحيفتها ماقدمت من خير أوشر كذا عن الاخفش (وردوا الى الله مولاهم الحق) ربهم الصادق فى ربوبيته لانهم كانوا يتولون ماليس لربوبيته حقيقة أوالذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لايظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة أومن يحميهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما الطيفان يؤذيهما أدنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسيقولون الله) فسيجيبونك عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله (فقل أفلا تتقون) الشرك فى العبودية اذا اعترفتم بالربوبية (فذلكم الله) أى من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لاريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) أى لاواسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع فى الضلال (فانى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) كلمات شامى ومدنى أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أوكما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه (أنهم لايؤمنون) بدل من الكلمة أى حق عليهم انتفاء الايمان أوحق عليهم كلمة الله أن ايمانهم غير كائن أوأراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لايؤمنون تعليل أى لانهم لايؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها

جعل أمرا مسلما على أن فيهم من يقر بالاعادة أو يحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لاتدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يرشد اليه (قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى) يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال ثرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة وعلى أمن لا يهدى بمعنى يهتدى لا يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش وباشمام الهاء فتحة أبو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهى قراءة عبد الله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى الى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا أن يهدى الا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء الا أن ينقله الله من حاله الى أن يجعله حيا ناطقا فيهديه (فالكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وأنها شفعاء عند الله والمراد بالاكثر الجميع (الا ظنا) بغير دليل وهو اقتداؤهم باسلافهم ظنا منهم أنهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيأ) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو أمره واعجازه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لا ريب فيه من رب العالمين) داخل فى حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى فى العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على

الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) أنه افتراه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يجربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به) بالنبى أو بالقرآن أى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصرين (وان كذبوك) وان تمادوا على تكذيبك ويئست من اجابتهم (فقل لى عملى) جزاء عملى (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) أتحسب انك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى انهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر (ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ولكن الناس حمزة وعلى أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا انفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالياء حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا أو فى قبورهم لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف

الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) أنه افتراه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليد الآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليد الآباء ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يجربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به) بالنبى أو بالقرآن أى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصرين (وان كذبوك) وان تمادوا على تكذيبك ويئست من اجابتهم (فقل لى عملى) جزاء عملى (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما نفرس واستدل اذا وقع فى صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) أتحسب انك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى انهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر (ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ولكن الناس حمزة وعلى أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا انفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالياء حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا أو فى قبورهم لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف

بينهم لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أى نحشرهم شبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كانهم ويتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقدير هم يتعارفون بينهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) على ارادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هى شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم (وامانرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب (أونتوفينك) قبل عذابهم (فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف أى وامانرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك أونتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة (ثم الله شهيد على مايفعلون) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب على مايفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى بينهم) بين النبى ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجى الرسول وعذب المكذبين أو لكل أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان (قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون) لايعذب أحد بغير ذنبه ولما قال وامانرينك بعض الذى نعدهم أى من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب نزل (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبى والمؤمنين (قل) يامحمد (لاأملك لنفسى ضرا) من مرض أوفقر (ولانفعا) من صحة أوغنى (الاماشاء الله) استثناء منقطع أى ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب فى اللوح فاذا جاء وقت عذابهم لايتقدمون ساعة ولايتأخرون فلاتستعجلوا (قل أرأيتم ان أتاكم عذابه) الذى تستعجلونه (بياتا) نصب على الظرف أى وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لاتشعرون (أونهارا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أى من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فاى شئ تستعجلون منه وليس شئ منه يوجب الاستعجال والاستفهام فى ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أوماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بارأيتم أو (أثم اذاما وقع) العذاب (آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى أفأمن أهل القرى أوأمن أهل

لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج وتسكت (ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كانه قيل مالى لا أحزن فقيل ان العزة (لله) ان الغلبة والقهر فى ملكه لا يملك أحد شيأ منهما لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن أنا ورسلى انا لننصر رسلنا أو به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار (جميعا) حال (هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) يعنى العقلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفى مملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) ما نافية أى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله فى الربوبية محال (ان يتبعون الا الظن) الاظنهم انهم شركاء الله (وان هم الا يخرصون) يحزرون ويقدرون أن يكون شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة والمحذوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد فى النهار (والنهار مبصرا) مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع متدبر معتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء (هو الغنى) علة لنفى الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به والكل أمارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منتفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يحتاج الى الغير فكان حادثا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا ولا تجتمع البنوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باضافة الولد اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع فى الدنيا) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا حيث يقيمون به رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به (ثم الينا

مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد) المخلد (بما كانوا يكفرون) بكفرهم (واتل عليهم) واقرأ عليهم (نبأ نوح) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذلو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر (اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين (مقامى) مكانى يعنى نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان أى خاف ربه أوقيامى ومكثى بين أظهركم ألف سنة الا خمسين عاما أومقامى (وتذكيرى بآيات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا (فعلى الله توكلت) أى فوضت أمرى اليه (فاجمعوا أمركم) من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه (وشركاءكم) الواو بمعنى مع أى فاجمعوا أمركم مع شركائكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة أوملتبسا فى خفية والغمة الستر من غمه اذا ستره ومنه الحديث لا غمة فى فرائض الله أى لا تستر ولكن يجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به (ثم اقضوا الى) ذلك الامر الذى تريدون بى أى أدوا الى ماهو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه أواصنعوا ما أمكنكم (ولا تنظرون) ولا تمهلونى (فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكيرى ونصحى (فما سألتكم من أجر) فاوجب التولى أوفما سألتكم من أجر ففاتنى ذلك بتوليكم (ان أجرى الا على الله) وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الآخرة أى ما نصحتكم الا لله لا لغرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة منع أخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم الدينى (وأمرت أن أكون من المسلمين) من المستسلمين لاوامره ونواهيه ان أجرى بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (فكذبوه) فداموا على تكذيبه (فنجيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق فى السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح عليه السلام (رسلا الى قومهم) أى هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فاصروا على الكفر بعد المجئ (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد فى التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وانه من عند الله

(قالوا) لجهم الشهوات (ن هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف اى هذا سحر ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) اى لا يظفر (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام او عبادة فرعون (وتكون لكما الكبرياء) اى الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (فى الارض) أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به ويكون حمادويحيي (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) سحار حمزة وعلى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) ما موصولة واقعة مبتدأ وجئتم به صلتها والسحر خبر اى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله آلسحر بعد وقف أبو عمرو على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اى اى شئ جئتم به أهو السحر (ان الله سيبطله) يظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته بل يدمره (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه او يظهر الاسلام بعداته بالنصرة (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى أول أوامره (الا ذرية من قومه على خوف من فرعون) الاطائفة من ذرارى بنى اسرائيل كأنه قيل الا أولادا من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف او الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وماشطته والضمير فى (وملئهم) يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر اولانه ذو أصحاب يأتمرون له او الى الذرية اى على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم فرعون (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو بادعائه الربوبية (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فاليه أسندوا أمركم فى العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط فى التوكل الاسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله اى يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة لهم اى عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا اى يضلوننا والفاتن المضل عن الحق (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) اى من تعذيبهم وتسخيرهم (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذه مباءة كقوله توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون

اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد منوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا فى أول الأمر مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك فى أول الاسلام بمكة (وأقيموا الصلوة) فى بيوتكم حتى تأمنوا (وبشر المؤمنين) ياموسى ثنى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخرا لان اختيار مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة) هو ما يتزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالا) أى نقدا وانعاما وضيعة (فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفى ولا وقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق باتيت و ربنا تكرار الاول للالحاح فى التضرع قال الشيخ أبو منصور رحمه الله اذا علم منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملى لهم ليزدادوا انما فتكون الآية حجة على المعتزلة (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها واذهب آثارها لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك (واشدد على قلوبهم) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء الذى هو اشدد (حتى يروا العذاب الاليم) الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان يأس فلم يقبل وانما دعا عليهم بهذا لما أيس من ايمانهم وعلم بالوحى انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لانه أرسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا (قال قد اجيبت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء فكان اخفاؤه أولى والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن فى وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامى وخطأه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أو هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) هو دليل لنا على خلق الافعال (فأتبعهم فرعون وجنوده) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته (بغيا) تطاولا (وعدوا) ظلما وانتصبا على الحال أو على المفعول له (حتى اذا أدركه الغرق) ولا وقف عليه لان (قال آمنت) جواب اذا (انه) حمزة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء التى هى صلة الايمان (لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من

المسلمين) وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار (آلآن) أتؤمن بالساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه أتؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان روى ان جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه (فاليوم ننجيك) نلقيك بنجوة من الارض فرماه الماء الى الساحل كانه ثور (ببدنك) فى موضع الحال أى في الحال التى لا روح فيك وانما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الا بدنا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه بابدانك وهو مثل قولهم هو باجرامه أى ببدنك كله وافيا باجزائه أو بدروعك لانه ظاهر بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم ان فرعون أعظم شانا من أن يغرق وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتى بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال وانه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) فى دينهم (حتى جاءهم العلم) أى التوراة وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلاف بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم فى صفته انه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم انه هو (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يميز المحق من المبطل ويجزى كلا جزاءه (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) لما قدم ذكر بنى اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلته أو بمباحثة العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك

فيه ثم قال (لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما أتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين ولا وقف عليه للعطف (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله أو هو على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد انه الحق اوخوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أى وان كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز أخوك فهن أوان للنفى أى فما كنت فى شك فسل أى ولا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى فان قلت انما يجىء ان للنفى اذا كان بعده الا كقوله ان الكافرون الا فى غرور قلت ذاك غير لازم ألا ترى الى قوله ان أمسكهما من أحد من بعده فان للنفى وليس بعده الا (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا أو قوله لاملان جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان (ولو جاءتهم كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب الاليم) أى عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بحتفه (فنفعها ايمانها) بأن تقبل الله ايمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار (الا قوم يونس) استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أو متصل والجملة فى معنى النفى كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا أربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فحن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا المنازل بهم العذاب الى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا ياحى حين لا حى وياحى محيى الموتى وياحى لا إله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم) على وجه الاحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الايمان.

مطبقين عليه لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر ممن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والالجاء اى لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) اى ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الى فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفا لو أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في أفأنت بمعنى النفي اى لا تملك أنت يا محمد أن تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) بمشيئته او بقضائه او بتوفيقه وتسهيله او بعلمه (ويجعل الرجس) اى العذاب او السخط او الشيطان اى ويسلط الشيطان (على الذين لا يعقلون) لا ينتفعون بعقولهم ونجعل حماد ويحيي (قل انظروا) نظر استدلال واعتبار (ماذا في السموات والارض) من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار (وما تغني الآيات) ما نافية (والنذر) والرسل المنذرون او الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعني وقع الله فيهم كما يقال أيام العرب اوقائعها (قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) اى مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض اى وحق ذلك علينا حقا ننجي بالتخفيف على وحفص (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه ثم وقف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) اى الاصنام (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يميتكم وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بأن يخاف ويتقى ويعبد دون ما لا يقدر على شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) اى بان أكون يعني ان الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى الى في كتابه (وأن أقم وجهك للدين) اى وأوحى الى أن أقم ليشاكل قوله أمرت اى استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله او استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا (حنيفا) حال من الدين او الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوته (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم

أعظم من الشرك (وان يمسسك الله) يصبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الا هو) الا الله (وان يردك بخير) عافية (فلا راد لفضله) فلا راد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد الا عليه (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المعافى بالعطاء اتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذى ان أصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لا شعور به وكذا ان أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان وهو الحقيق اذا بأن توجه اليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته وانما ذكر المس فى أحدهما والارادة فى الآخر كانه أراد أن يذكر الامرين الارادة والاصابة فى كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة فى أحدهما والارادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير فى قوله يصيب به من يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فمن اهتدى) اختار الهدى واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فانفع باختياره الا نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم انما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايذائهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة (وهو خير الحاكمين) لانه المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر كتاب) أى هذا كتاب فهو خبر مبتدا محذوف (أحكمت آياته) صفة له أى نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة أو فصل فيها ما يحتاج اليه العباد أى بين ولخص وليس معنى ثم التراخى فى الوقت ولكن فى الحال (من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت وفصلت أى من عنده أحكامها وتفصيلها (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أى لئلا تعبدوا أو أن مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (انني لكم منه نذير وبشير) أى من الله (وأن استغفروا ربكم) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أى

استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة (يمتعكم متاعا حسنا) يطوّل نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعطى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا ينقص منه شيأ (وان تولوا) وان تتولوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على اعادتكم (ألا انهم يثنون صدورهم) يزورّون عن الحق وينحرفون عنه لان من أقبل على الشئ استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (ليستخفوا منه) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم (ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون) أى لا تفاوت فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافع عنده قيل نزلت فى المنافقين (انه عليم بذات الصدور) بما فيها (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) تفضلا لا وجوبا (ويعلم مستقرها) مكانه من الارض ومسكنه (ومستودعها) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل فى كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذى خلق السموات والارض) وما بينهما (فى ستة أيام) من الاحد الى الجمعة تعليما للتأنى (وكان عرشه على الماء) أى فوقه يعنى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قيل بدأ بخلق ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفى وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار (ليبلوكم) أى خلق السموات والارض وما بينهما للمتحن فيهما ولم يخلق هذه الاشياء لانفسها (أيكم أحسن عملا) أكثر شكرا وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (الى أمة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى الى حين معلوم (ليقولن ما يحبسه) ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا

يوم يأتيهم) العذاب (ليس) العذاب (مصروفا عنهم) ويوم منصوب بمصروفا أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو للجنس (منا رحمة) نعمة من صحة وأمن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساءله (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله (ليقولن ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) أشر بطر (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) فى المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا فى النعمة والرخاء (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أى لعلك تترك أن تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك) بأن تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ولانه أشكل بتاركك (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) هلا أنزل عليه ما اقترحناه من الكنز لننفقه والملائكة لنصدقه ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه (انما أنت نذير) أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أو تهاونوا (والله على كل شئ وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (أم يقولون) أم منقطعة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل فأتوا بعشر سور) تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) فى الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على

المعارضة (ان كنتم صادقين) أنه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله الا هو) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه فاعلموا عند ذلك أن لا إله الا الله وحده وأن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدثونهم أولان الخطاب للمشركين والضمير فى فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى باذنه أو بأمره (فهل أنتم مسلمون) متبعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة ما صنعوه أو ضيعهم أى لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عملهم فى نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له (أفمن كان على بينة من ربه) أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه أى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم يعنى ان بين الفريقين تباينا بينا وأرادبهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد) يشهد بصحته وهو القرآن (منه) من الله أو من القرآن فقد مر ذكره آنفا (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أى ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (اماما) كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الاحزاب) يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) مصيره ومورده (فلا تك فى مرية) شك (منه) من القرآن أو من الموعد (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم) يحبسون فى الموقف وتعرض أعمالهم (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا (ألا لعنة الله على الظالمين) الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كاصحاب وصاحب أو شهيد كشريف وأشراف (الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس

عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة او يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا) أى ما كانوا (معجزين فى الارض) بمعجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) لانهم أضلوا الناس عن دين الله يضعف مكى وشامى (ما كانوا يستطيعون السمع) أى استماع الحق (وما كانوا يبصرون) الحق (أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون) بالصد والصدود وفى لا جرم أقوال أحدها ان لا رد للكلام سابق أى ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وانهم فى الآخرة فى محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم فى الآخرة وثانيها أن لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا وأن فى موضع رفع بانه فاعل لحق أى حق خسرانهم وثالثها ان معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها وهو نصب على التمييز (أفلا تذكرون) فتتعظون بضرب المثل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين) أى بانى والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامى ونافع وعاصم وحمزة على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير (انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه (فقال الملا الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) أرادوا انه كان ينبغى أن يكون ملكا أو ملكا (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أخساؤنا جمع الارذل (بادى) وبالهمزة أبو عمرو (الرأى) وبغير همز أبو عمرو أى اتبعوك ظاهر الرأى أو أول الرأى من بدا يبدو اذا ظهر أو بدأ يبدأ اذا فعل الشئ أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له حاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم أن

التقدم فى الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (وما نرى لكم علينا من فضل) فى مال ورأى عنوا نوحا وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أى نوحا فى الدعوة ومتبعيه فى الاجابة والتصديق يعنى تواطأتم على الدعوة والاجابة تسببا للرياسة (قال ياقوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة) برهان (من ربى) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى خفيت فعميت حمزة وعلى وحفص أى أخفيت أى فعميت عليكم البينة فلم تهتدوا كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره (أنلزمكموها) أى الرحمة (وأنتم لها كارهون) لا تريدونها والواو دخلت هنا تتمة للميم وعن أبى عمر واسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تسكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا وهو لحن لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر (ويا قوم لا أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة لانه مدلول قوله انى لكم نذير (مالا) أجرا يثقل عليكم ان أديتم أو على ان أبيتم (ان أجرى) مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معهم (انهم ملاقوا ربهم) فيشكونني اليه ان طردتهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل أو تجهلون لقاء ربكم أو انهم خير منكم (ويا قوم من ينصرنى من الله) من يمنعنى من انتقامه (ان طردتهم أفلا تذكرون) تتعظون (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) فادعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل (ولا أعلم الغيب) حتى أطلع على ما فى نفوس اتباعى وضمائر قلوبهم وهو معطوف على عندى خزائن أى لا أقول عندى خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أقول انى ملك) حتى تقولوا لى ما أنت الا بشر مثلنا (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فى الدنيا والآخرة لهوانه عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (الله أعلم بما فى أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا أطلع على خفى أسرارهم (انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وأصله تزترى فابدلت التاء دالا (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى وعدك (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) أى ليس الاتيان بالعذاب الىّ وانما هو الى من كفرتم به (وما أنتم بمعجزين) أى لم تقدروا على الهرب منه (ولا ينفعكم نصحى) هو اعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليقتفى ولكنى انى نصحى مدنى وأبو عمرو (ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقدما فى الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحى أن أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا فى ارادة

المعاصي (هو ربكم) فيتصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون افتراه (قل ان افتريته فعلي اجرامي) أي ان صح أني افتريته فعلي عقوبة اجرامي أي افترائي يقال أجرم الرجل اذا أذنب (وأنا بريء) أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اقناط من ايمانهم وأنه غير متوقع وفيه دليل على أن للايمان حكم التجدد كانه قال ان الذي آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التي ذكرت في الايمان بالقرآن (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتآس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (واصنع الفلك بأعيننا) هو في موضع الحال أي اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه من أن يزيغ في صنعته عن الصواب (ووحينا) وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطير (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضي به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) من عمله السفينة وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم) عند رؤية الهلاك (كما تسخرون) منا عند رؤية الفلك روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وألفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا وستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء (فسوف تعلمون من يأتيه) من في محل نصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (ويحل عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يبتدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع أي يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخروا بدل من مر أو صفة لملأ (اذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التنور) هو كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض (قلنا احمل فيها) في السفينة (من

كل زوجين اثنين) تفسيره فى سورة المؤمنين (وأهلك الا من سبق عليه القول) عطف على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا لعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ما أراد (وما آمن معه الا قليل) قال عليه السلام كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجالا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما الان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت حمزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء (ان ربى لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلبى وقيل كان ابن امرأته (وكان فى معزل) عن أبيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وأبعده أو فى معزل عن دين أبيه (يابنى) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يابنيا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) فى السفينة أى أسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين قال سآوى) ألجأ (الى جبل يعصمنى من الماء) يمنعنى من الغرق (قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله أى الا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مالهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصار أو فكان فى علم الله (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) انشفى وتشربى والبلع النشف (ويا سماء أقلعى) أمسكى (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد (وقضى الامر) وأنجز

ماوعد الله نوحا من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد أن طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودى) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أى سحقا لقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا و بَعَدًا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء ☆ والنظر فى هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نردما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان تقطع طوفان السماء فانقطع وان تغيض الماء النازل من السماء فغيض وأن تقضى أمر نوح وهو انجازما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضى وأن نسوى السفينة على الجودى فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالامر الذى لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ فى تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وأن السموات والارض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيها تغييرا وتبديلا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا أرض ويا سماء ثم قال مخاطبا لهما يا أرض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء فى الارض البلع الذى هو أعمال الجاذبة فى المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفى ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوى الارض بالماء فى الانبات كتقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم التأتى ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء سلوكا فى كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك فى فعله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ولا أن يكون الغائض والقاضى والمسوى غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم ☆ ومن جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يا دون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرضى لزيادة التهاون اذ الاضافة تستدعى القرب ولم يقل يا أيتها الارض للاختصار واختير لفظ

الارض والسماء لكونهما أخف وأدور واختير ابلعي على ابتلعي لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين أقلعي وقيل أقلعي ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت اختصارا واخمير غيض على غيض وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي أي أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلام وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي ولم يقل ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ثم ذكر ماهو المقصود وهو قوله وقضي الامر أي أنجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر ☆ ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشبك الطريق الى المرتاد * ومن جهة الفصاحة اللفظية فألفاظها على ماترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته الا أدرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور (ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع مابعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (ان ابني من أهلي) أي بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي (وأنت أحكم الحاكمين) أي أعلم الحكام وأعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يا نوح انه ليس من أهلك) ثم علل لانتفاء كونه من أهله بقوله (انه عمل غير صالح) وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك وان كان حبشيا وكنت قرشيا الصيقك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها

* فانما هي إقبال وإدبار * أو التقدير أنه ذو عمل وفيه اشعار بانه انما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لانهم أهله وهذا ما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته عمل غير صالح على قال

الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والا لايحتمل أن يقول ابني من أهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولاتخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا عليه السلام ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أي من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر (فلا تسألن) اجتزأ بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصري تسألن مدني تسألن شامي فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألن مكي (ماليس لك به علم) بجواز مسئلته (اني أعظك أن تكون من الجاهلين) هو كما نهى رسولنا بقوله فلا تكونن من الجاهلين (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم) أي من أن أطلب منك في المستقبل مالا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (والا تغفر لي) ما فرط مني (وترحمني) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط بسلام منا) بتحية منا أو بسلامة من الغرق (وبركات عليك) هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله (وعلى أمم ممن معك) من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تتشعب منهم أو لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (سنمتعهم) في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه (ثم يمسهم منا عذاب أليم) أي في الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي (من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل ايحائي اليك واخبارك بها (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا أي وأرسلنا الى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من إله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ (ان أنتم الا مفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (ياقوم لا أسئلكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني) ما من رسول

الاواجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصحة والنصيحة لايمحضها لاحسم المطامع ومادام يتوهم شئ منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لايطلب عليها أجرا الا من الله وهو نواب الآخرة ولاشئ أنفى للتهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثيرة الدرور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابه انى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيأ لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألتم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعما أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم (قالوا ياهود ما جئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) ومايصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نفى فنفى جميع القول الا قولا واحدا وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول قولا الا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) أى من اشراككم آلهة من دونه والمعنى انى أشهد الله أنى برىء مما تشركون واشهدوا أنتم أيضا انى برىء من ذلك وجىء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أنى لا أحبك تهكما به واسترانة بحاله (فكيدونى جميعا) أنتم وآلهتكم (ثم لا تنظرون) لا تمهلون فانى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وان تعاونتم على وكيف تضرنى آلهتكم وماهى الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلنى وتذهب بعقلى (انى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى مالكها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) ان ربى على الحق لا يعدل عنه أو ان ربى يدل على صراط مستقيم (فان

تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم (ويستخلف ربي قوما غيركم) كلام مستأنف أي ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في ديارهم وأموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضر رقط اذ لا يجوز عليه المضار وانما تضرون أنفسكم (ان ربي على كل شئ حفيظ) رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أي بفضل منا لا بعملهم أو بالايمان الذي أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيعوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لانفرق بين أحد من رسله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين (ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد) تكرار الامع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها أو استعمركم من العمر أي أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة الى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي (فاستغفروه) فاسألوه مغفرته بالايمان (ثم توبوا اليه ان ربي قريب) داني الرحمة (مجيب) لمن دعاه (قالوا ياصالح قد كنت فينا) فيما بيننا (مرجوا قبل هذا) للسيادة والمشاورة في الامور أو كنا نرجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (وانا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع في الريبة من أرابه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة) نبوة أتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي وأنني

نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامره (فمن ينصرني من الله) فمن يمنعني من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان (فما تزيدونني) بقولكم أنها أن نعبد ما يعبد آباؤنا (غير تخسير) بنسبتكم اياي الى الخسار أو بنسبتي اياكم الى الخسران (و ياقوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فذروها تأكل في أرض الله) أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (ولا تمسوها بسوء) عقر أو نحر (فيأخذكم عذاب قريب) عاجل (فعقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها أي يتصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمعقول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجى انما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) باضافة الخزي الى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة و بفتحهما مبنيا وعلى لانه مضاف الى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا أضيفت الى الاسماء المبهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذله وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (ان ربك هو القوي) القادر على تنجية أوليائه (العزيز) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام (فأصبحوا في ديارهم) منازلهم (جاثمين) ميتين (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها (ألا ان ثمودا كفروا ربهم) ثمود حمزة وحفص (ألا بعدا لثمود) على فاصرف للذهاب الى الحي أو الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (ولقد جاءت رسلنا) جبريل وميكائيل واسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا (ابراهيم بالبشرى) هي البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والاول أظهر (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قال سلام) أمركم سلام سلم حمزة وعلي بمعنى السلام (فما لبث أن جاء بعجل) فما لبث في المجيء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة وكان مال ابراهيم البقر (حنيذ) مشوي بالحجارة المحماة (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم) نكروا أنكر بمعنى وكانت عادتهم أنه اذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه والا خافوه والظاهر أنه أحس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف أن يكون نزولهم لامر انكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله (وأوجس منهم خيفة) أي أضمر منهم خوفا

(قالوا

(قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط) بالعذاب وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه (وامرأته قائمة) وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رؤسهم تخدمهم (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب أو فحاضت (فبشرناها باسحق) وخصت بالبشارة لان النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامى وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أى فبشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد (قالت ياويلتا) الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن ياويلتى بالياء على الاصل (أألد وأنا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلى شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلى خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التى دلت عليه ذا أو معنى التنبيه الذى دل عليه هذا (ان هذا لشئ عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه حميد) محمود بتعجيل النعم (مجيد) ظاهر الكرم بتأجيل النقم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه (وجاءته البشرى) بالولد (يجادلنا فى قوم لوط) أى لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل يجادلنا أو يجادلنا جواب لما وانما جئ به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أترلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه الصفوح عمن عصاه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب) تائب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة نبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم

العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لابيه فقالت الملائكة (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك (انه قد جاء أمر ربك) قضاؤه وحكمه (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يرد بجدال وغيره ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره وانهم يأتيهم ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى هيأتهم وجمالهم (سيء بهم) أحزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) تمييز أى وضاق بمكانهم صدره (وقال هذا يوم عصيب) شديد روى ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها الشر قرية فى الارض عملا قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كانما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال يا قوم هؤلاء بناتى) فتزوجوهن أراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا فى ذلك الوقت كما جاز فى الابتداء فى هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما ابنتيه (هن أطهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتى عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر المبتدأ أو بناتى خبر وهن أطهر مبتدأ وخبر (فاتقوا الله) بايثارهن عليهم (ولا تخزون) ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء وبالياء أبو عمرو فى الوصل (فى ضيفى) فى حق ضيوفى فانه اذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) أى رجل واحد يهتدى الى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) حاجة لان نكاح الاناث أمر خارج عن مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران (وانك لتعلم ما نريد) عنوا اتيان الذكور ومالهم فيه من الشهوة (قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) جواب لو محذوف أى لفعلت بكم ولصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت الى قوى أستند اليه وأتمنع به فيحمينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنعته روى أنه أغلق بابه حين جاؤا وجعل يراددهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك لشديد (انا رسل ربك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم

فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة (لن يصلوا اليك) جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه وهم يقدروا على ضرره (فاسر) بالوصل حجازي من سرى (بأهلك بقطع من الليل) طائفة منه او نصفه (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه الى ما خلف أو لا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد (الا امرأتك) مستثنى من فاسر بأهلك وبالرفع مكي وأبو عمرو على البدل من أحد وفي اخراجها مع أهله روايتان روى أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (انه مصيبها ما أصابهم) أي ان الامر وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أي أسفل قراها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين (منضود) نعت لسجيل أي متتابع أو مجموع معد للعذاب (مسومة) نعت للحجارة أي معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (عند ربك) في خزائنه أو في حكمه (وما هي من الظالمين ببعيد) بشيء بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة أو الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم (والى مدين أخاهم شعيبا) هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين ابن ابراهيم أي وأرسلنا شعيبا الى ساكني مدين أو الى بني مدين (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال) أي المكيل بالمكيال (والميزان) والموزون بالميزان (اني أراكم بخير) بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب الآخرة (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) البخس النقص كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك (ولا تعثوا في الارض مفسدين) العثي والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل و يجوز أن يجعل

البخس والتطفيف عثيا منهم في الارض (بقيت الله) مايبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف الا أن فائدتها تظهر مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شأنه أو المراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به اياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس (قالوا ياشعيب أصلواتك) وبالتوحيد كوفي غير أبي بكر (تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أوأن نفعل في أموالنا مانشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ماتستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا أوأن نترك التبسط في أموالنا مانشاء من ايفاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا (انك لأنت الحليم الرشيد) أي السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء أوانك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه) من لدنه (رزقا حسنا) يعني النبوة والرسالة أومالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب أرأيتم محذوف أي أخبروني ان كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه وارد او أنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله (وما أريد ان أخالفكم الى ماأنهاكم عنه) يعني أن أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم (ان أريد الا الاصلاح) ماأريد الا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر (مااستطعت) ظرف أي مدة استطاعتي للاصلاح ومادمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا (وما توفيقي الا بالله) وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي وأذر الا بمعونته وتأييده (عليه توكلت) اعتمدت (واليه أنيب) أرجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله (و ياقوم لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم) أي لا يكسبنكم خلافي اصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) وهو الغرق والريح والرجفة (وماقوم لوط منكم ببعيد) في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم اوفي المكان فنازلهم قريبة منكم اوفيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوي وسوى في قريب و بعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيا والنهيق ونحوهما (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم)

يغفر لاهل الجفاء من المؤمنين (ودود) يحب اهل الوفاء من الصالحين (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) اى لا نفهم صحة ما تقول والا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء (وانا لنراك فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها (ولولا رهطك لرجمناك) ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من اهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل اليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزيز) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) فى جوابهم (ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة الى الامس امسى (ان ربى بما تعملون محيط) قد أحاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (وياقوم اعملوا على مكانتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشئ يعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشناآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه أى يفضحه وأينا هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعواكم وادخال الفاء فى سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فاذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن فى البلاغة وأبلغهما الاستئناف (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (انى معكم رقيب) منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر فى آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفى آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذى هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع

على ماقبلهما كانعطف قصة على قصة (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) الجاثم اللازم لمكانه لايريم يعنى ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كان لم يغنوا فيها) كان لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين مترددين (ألا بعدا لمدين) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى الى قوله (كما بعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد وأوعد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها أبهرها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أى الملأ (أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الالوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان ومثله بمعزل عن الالوهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى أمره رشد قط أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسير له وايضاحا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فأوردهم النار) ادخلهم وجئ بلفظ الماضى لان الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبئس الورد) المورد و(المورود) الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد المورود الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وأتبعوا فى هذه) أى الدنيا (لعنة ويوم القيامة) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أى بعضها باق وبعضها عاف الاثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (التى يدعون) يعبدون وهى حكاية حال ماضية (من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) عذابه ولما منصوب بما أغنت (وما زادوهم غير تتبيب) تخسير يقال تب اذا خسر وتبيبه غيره أوقعه فى الخسران يعنى وما أفادتهم عبادة غير الله شيأ بل أهلكتهم (وكذلك) محل الكاف الرفع أى ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك اذا أخذ القرى) أى أهلها (وهى ظالمة) حال من القرى (ان أخذه أليم شديد) مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل

قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال (ان فى ذلك) فيما قص الله من قصص الامم الهالكة (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) أى اعتقد صحته ووجوده (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله اذا قلت يجمع له الناس وانما آثر اسم المفعول على فعله لما فى اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه أثبت أيضا الاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد (وما نؤخره) أى اليوم المذكور الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها والعدا نما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف أو ما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهى المدة التى ضربناها لبقاء الدنيا (يوم يأت) وبالياء مكى وافقه أبو عمرو ونافع وعلى فى الوصل واثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله (لا تكلم) أى لا تتكلم (نفس الا باذنه) أى لا يشفع أحد الا باذن الله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه (فمنهم) الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس (شقى) معذب (وسعيد) أى ومنهم سعيد أى منعم (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير) هو أول نهيق الحمار (وشهيق) هو آخره أو هما اخراج النفس ورده والجملة فى موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذى فى النار (خالدين فيها) حال مقدرة (مادامت السموات والارض) فى موضع النصب أى مدة دوام السموات والارض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للابد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل مادام فوق وتحت ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء أو هو عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد (الا ما شاء ربك) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار وذلك لان أهل النار لا يخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم اياها بكونهم فى النار أيا ما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم (ان ربك فعال لما يريد) بالشقى والسعيد (وأما الذين سعدوا) سعدوا حمزة وعلى وحفص سعد لازم وسعده يسعده متعد (ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات

والارض الا ماشاء ربك) هواستثناء من الخلود فى نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ماهو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه اومعناه الا من شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء فى الآيتين لاهل الجنة ومعناه ماذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصى الذى دخل النار خلود فى النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود فى الجنة لانه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية فى هذا الباب وكفى به أئمة مبينا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون وهو نصب على المصدر اى أعطوا عطاء قيل كفرت الجهمية بأربع آيات عطاء غير مجذوذ أكلها دائم وماعند الله باق لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص الله قصص عبدة الاوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) اى فلا تشك بعدما أنزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية وما فى مما وكما مصدرية اوموصولة اى من عبادتهم وكعبادتهم اومما يعبدون من الاوثان ومثل مايعبدون منها (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم (غير منقوص) حال من نصيبهم اى كاملا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لا يعاجلهم بالعذاب (لقضى بينهم) بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفى شك منه) من القرآن اومن العذاب (مريب) من أراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازى (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم اى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصرى وعلى مامزيدة جىء بها ليفصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى لما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) اى جزاء أعمالهم من ايمان وجحود وحسن وقبيح بعكس الاولى أبو بكر مخففان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيل ولان ان تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل وأحسن ماقيل فيه انه من لممت الشئ جمعته لما تم وقف فصار لما تم أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز ان يكون مثل الدعوى والثروى ومافيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهرى وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما وهو يؤيد ماذكرنا والمعنى وان كلا ملموما من اى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة

كلهم أجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنه قيل وان كلا لما بعثوا اليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائى ليس لى بتشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر فى استقم وجاز للفاصل يعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم فاتقوه قيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى هود (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لاتباع الكفرة اى لا تركنوا الى القادة والكبراء فى ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسكم النار) وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق أنه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان فى جهنم وادلا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعى ما من شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت قال دعه يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم النار أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد اى النصرة من الله مستبعدة (وأقم الصلوة طرفى النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل جمع زلفة وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من زلفه اذا قربه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (ان الحسنات يذهبن السيآت) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفى الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب او الطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها او سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر (ذلك) اشارة الى فاستقم فما بعده او القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين نزلت فى عمرو بن غزية الانصارى بائع التمر قال لامرأة فى البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكيا باكيا فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هى كفارة لك فقيل ألله خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما

نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهلا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل (أولوا بقية) أولوا فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (ينهون عن الفساد في الارض) عجب محمدا عليه السلام وأمته أن لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلاكهم في هذه السورة جماعة من أولي العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي (الا قليلا ممن أنجينا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن أنجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) أي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على ضمير أي الاقليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (ما أترفوا فيه) أي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهني ورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام لتأكيد النفي (بظلم) حال من الفاعل أي لا يصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أي لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا آخر (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) أي متفقين على الايمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هي مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والايمان أي ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك (الا من رحم ربك) الا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أي ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذي علم انهم يصيرون اليه من اختلاف او اتفاق ولم يخلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون اليه كذا في شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهي قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة أو في هذه الانباء المقتصة ما هو حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب (وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا على

مكانتكم) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها (انا عاملون) على مكانتنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحوما اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لاتخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (واليه يرجع الامر كله) فلابد أن يرجع اليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم يرجع نافع وحفص (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (وما ربك بغافل عما يعملون) وبالتاء مدنى وشامى وحفص أى أنت وهم على تغليب المخاطب قيل خاتمة التوراة هذه الآية وفى الحديث من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى

﴿سورة يوسف عليه السلام وهى مائة واحدى عشرة آية شامى واثنتا عشرة مكى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه السورة والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى اعجاز العرب أوالتى تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أوالواضحة التى لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أوقد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (انا أنزلناه قرآنا عربيا) أى أنزلناه هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام فى حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقاص الذى يأتى بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أى بايحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا بانصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لان بما أوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه والمراد بأحسن الاقتصاص انه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فانك لا ترى اقتصاصه فى كتب الاولين مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الاحاديث وانما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التى ليست فى غيره والظاهر انه أحسن ما يقتص فى بابه كما يقال فلان أعلم الناس أى فى فنه واشتقاق القصص من قص أثره اذا تبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيأ فشيأ (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعنى وان الشأن والحديث كنت

من قبل ايحائنا اليك من الجاهلين به (اذ قال) بدل اشتمال من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذكر اذ قال (يوسف) اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لابيه) يعقوب (يا أبت) أبت شامي وهي تاء تأنيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما لان كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف وجاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر كما في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام (اني رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماؤها ببيان النبي عليه السلام جريان والذيال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء في (رأيتهم لي ساجدين) لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لي ساجدين أي متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتي عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة أو ثمانون (قال يا بني) بالفتح حيث كان حفص (لا تقصص رؤياك) هي بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة وفرق بينهما بحرف التأنيث كما في القربة والقربى (على اخوتك فيكيدوا لك) جواب النهي أي ان قصصتها عليهم كادوك عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدوني لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى الى تأكيده بالمصدر وهو (كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد (وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء الذي دلت عليه رؤياك (يجتبيك ربك) يصطفيك والاجتباء والاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) أي تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا أو تأويل أحاديث الانبياء وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أي جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهله وانما علم يعقوب ان يوسف

يكون نبيا واخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى آل يعقوب (كما أتمها على أبويك من قبل) أراد الجد وأبا الجد (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شئ آية مكى (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسماؤهم يهوذا وروبين وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان ودان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا وأخوه وهم اخوته أيضا لان أمهما كانت واحدة وانما قيل أحب في الاثنين لان أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف ساغ الامران والواو في (ونحن عصبة) للحال أي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (ان أبانا لفي ضلال مبين) غلط في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أو اطرحوه أرضا) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا أقبل على الشئ أقبل بوجهه وجاز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك (وتكونوا) مجزوم عطفا على يخل لكم (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقوه في غيابت الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدنى (يلتقطه بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق (ان كنتم فاعلين) به شيأ (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) أي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب ان لا يأمنهم عليه (أرسله

معناغدا نرتع) نتسع فى أكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة (ونلعب) نتفرج بما يباح كالصيد والرمى والركض بالياء فيهما مدنى وكوفى وبالنون فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وبكسر العين حجازى من ارتعى يرتعى افتعال من الرعى (وانا له لحافظون) من ان يناله مكروه (قال انى ليحزننى أن تذهبوا به) اى يحزننى ذهابكم به واللام لام الابتداء (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قالوا لئن أكله الذئب) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو فى (ونحن عصبة) اى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط اى ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها وأجابوا عن عذره الثانى دون الاول لان ذلك كان يغيظهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا ان يجعلوه فى غيابت الجب) اى عزموا على القائه فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما ارادوا القاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على ابيهم وداوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه (واوحينا اليه) قيل اوحى اليه فى الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا (لتنبئنهم بأمرهم هذا) اى لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وكبريا سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وانكم ألقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس او يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا اى آنسناه بالوحى وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يبكون) حال عن الاعمش لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بنى هل اصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف (قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق) اى نتسابق فى العدو او فى الرمى والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامى وغير ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قميصه بدم كذب) ذى كذب ووصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه

كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره ومحل على قميصه النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت أو سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جميل) خبر أو مبتدا لكونه موصوفا أى فامرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وهو ما لا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) أى أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف فى الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فأرسلوا واردهم) هو الذى يرد الماء ليستقى للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعى (فأدلى دلوه) أرسل الدلو ليملأها فتشبث يوسف بالدلو فنزعوه (قال يا بشرى) كوفى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا أوانك غيرهم بشراى على اضافتها الى نفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافا الى نفسه (هذا غلام) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة أو لاخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعة) حال أى اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما يبضع من المال للتجارة أى قطع (والله عليم بما يعملون) بما عمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف (دراهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون ما دون الاربعين ويزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بالثمن الطفيف أو معنى وشروه واشتروه يعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أى غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق ويروى ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يأبق وفيه ليس من صلة الزاهدين أى غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وانما هو بيان كأنه قيل فى أى شئ زهدوا فقال زهدوا فيه (وقال الذى اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد وقد آمن بيوسف ومات فى حياته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أو زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه (أكرمى مثواه) اجعلى منزله

ومقامه عندنا كريما اى حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربى أحسن مثواى وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطىء فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (او نتخذه ولدا) او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك (وكذلك) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا ليوسف) اى كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله (فى الارض) اى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على أمره) لا يمنع عما شاء او على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة او احدى وعشرون (آتيناه حكما وعلما) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه او حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على انه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) اى طلبت يوسف أن يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اى فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشىء الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه و يأخذه منه وهى عبارة عن التحيل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم لتعال وأقبل وهو مبنى على الفتح هيت مكى بناه على الضم هئت مدنى وشامى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه) اى ان الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخونه فى أهله (انه لا يفلح الظالمون) الخائنون او الزناة او أراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه مسبب الاسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل وهم بها وشارف أن يهم بها يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف اى لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليها لانه فى حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة و يجوز ان يكون وهم بها داخلا فى حكم القسم فى قوله ولقد همت به و يجوز أن يكون خارجا ومن حق القارىء اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على به و يبتدىء بقوله وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهمين وفسر هم يوسف بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها مرتين فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انامله وهو باطل و يدل على بطلانه قوله هى راودتنى عن نفسى ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ نفسه

من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذي النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولي العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف في (كذلك) نصب أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أي الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث كان مدني وكوفي أي الذين أخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم أي الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب هي للطلب وهو للهرب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووجد الباب وان كان جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها لدى الباب) وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أي ليس جزاؤه الا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وانه أراد بها سوأ لانها قصدت العموم أي كل من أراد باهلك سوأ فحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا في المهد وسمي قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قميصه وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل واما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان التي للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد (فلما رأى) قطفير (قميصه قد من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من أراد باهلك سوأ أو ان هذا الامر

وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولامتها (ان كيدكن عظيم) لانهن ألطف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لهن ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولاتحدث به ثم قال لراعيل (واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقى ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها (فى المدينة) فى مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تراود فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاتى أى غلامى وجاريتى (عن نفسه) لتنال شهوتها منه (قد شغفها حبا) تمييز أى قد شغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (انا لنراها فى ضلال مبين) فى خطا وبعد عن طريق الصواب (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت) وهيأت افتعلت من العتاد (لهن متكأ) مايتكئ عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكانوا لا يأكلون فى ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم (وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصرى وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذ لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واسترذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

(وقطعن

(وقطعن أيديهن) وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها أى أردن أن يقطعن الطعام الذى فى أيديهن فدهشن لما رأينه فخدشن أيديهن (وقلن حاش لله) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وقراءة أبى عمرو حاشا لله نحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله (ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم لما ركز فى الطباع ان لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه تعنى انكن لم تصورنه حق صورته والا لعذرتننى فى الافتتان به (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها وهذا بيان جلى على أن يوسف عليه السلام برىء مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان ثم قلن له أطع مولاتك فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما آمره) الضمير راجع الى ما وهى موصولة والمعنى ما آمره به فحذف الجار كما فى قوله أمرتك الخير أو ما مصدرية والضمير يرجع الى يوسف أى ولئن لم يفعل أمرى اياه أى موجب أمرى ومقتضاه (ليسجنن) ليحبسن والالف فى (وليكونا) بدل من نون التأكيد الخفيفة (من الصاغرين) مع السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبى وأبق منى وسفك دمى بالفراق فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعنى هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثلى فى الحرير على السرير أميرا حصل فى الحصير على الحصير حسيرا فلما سمع يوسف تهديدها (قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أجبت مولاتك أو افتتنت كل واحدة به فدعته الى نفسها سرا فالتجأ الى ربه قال رب السجن أحب الى من ركوب المعصية (والا تصرف عنى كيدهن) فزع منه الى الله فى طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء فلما كان فى قوله والا تصرف عنى كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بحاله وحالهن (ثم بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى والضمير فى لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الايدى وشهادة الصبى وغير ذلك (ليسجننه) لابداء عذر الحال وارخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا باستنزال

المرأة لزوجها وكان مطواعا لها وحميلا ذليلا لزمامه في يدها وقد طمعت أن يذلله السجن ويسخره لها أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فالجأها الخجل من الناس والوجل من الباس الى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفي بخبره اذا منعت من نظره (حتى حين) الى زمان كانها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجن فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فادخلا السجن ساعة أدخل يوسف لان مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قال أحدهما) أي شرابيه (اني أراني) أي في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) أي عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب (وقال الآخر) أي خبازه (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) بتأويل ما رأيناه (انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين الى أهل السجن فانك تداوي المريض وتعزي الحزين وتوسع على الفقير فأحسن الينا بتأويل ما رأينا وقيل انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني رأيت كاني في بستان فاذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني رأيت كان فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) أي ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (قبل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه لم يكن من باب التزكية (ذلكما) اشارة لهما الى التأويل أي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به الى ولم أقله عن تكهن وتنجم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به الى لاني رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) وهي الملة الحنيفية وتكريرهم للتوكيد وذكر الآباء ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما في اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لانه كان فيه ثم تركه (ما كان لنا) ماصح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شيء) أي شيء كان صنما أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضل الله فيشركون به ولا ينتهون (ياصاحبي السجن) يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون

خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق فى العدد والتكاثر أى أن تكون أرباب شتى يستعبد كاهذا ويستعبد كاهذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ما تعبدون) خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أى سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا أسماء لا مسميات لها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (ان الحكم) فى أمر العبادة والدين (الا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت الذى دلت عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا أمكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال (يا صاحبى السجن أما أحدكما) يريد الشرابى (فيسقى ربه) سيده (خمرا) أى يعود الى عمله (وأما الآخر) أى الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رايت شيأ فقال يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) أى قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمر كما وشأنكما أى ما يجر اليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وقال للذى ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابى أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرنى عند ربك) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى ويخلصنى من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فانسى الشرابى (ذكر ربه) ان يذكره لربه أو عند ربه أو فانسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفى الحديث رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا (فلبث فى السجن بضع سنين) أى سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث الى التسع (وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استعصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها وقيل كان ابتداء بلاء يوسف فى الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضا الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف الهزال الذى ليس بعده سمانة والسبب فى وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض وفى الآية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت

سبعا كالخضر لان الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (يا أيها الملأ) كانه أراد الاعيان من العلماء والحكماء (أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) اللام فى للرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أولان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت ما آلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أى هى أضغاث أحلام أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام وانما جمع وهو حلم واحد تزايدا فى وصف الحلم بالبطلان وجاز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا فى تأويل الاحلام بخابرين (وقال الذى نجا) من القتل (منهما) من صاحبى السجن (وادّكر) بالدال هو الفصيح وأصله اذتكر فأبدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الاولى فى الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أى تذكر يوسف وماشاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه (فأرسلون) وبالياء يعقوب أى فابعثونى اليه لاسأله فارسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) الى الملك وأتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قال تزرعون سبع سنين) هو خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه فى سنبله وانما يخرج الامر فى صورة الخبر للمبالغة فى وجود المأمور به فيجعل كانه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحفص يحركه وهما مصدر دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين (فما حصدتم فذروه فى سنبله) كى لا يأكله السوس (الا قليلا مما تأكلون) فى تلك السنين

(ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن) هو من اسناد المجاز جعل أكلهن مسندا اليهن (ماقدمتم لهن) أى فى السنين المخصبة (الاقليلا مما تحصنون) تحرزون وتخبؤن (ثم يأتى من بعد ذلك عام) أى من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أى يجاب مستغيثهم أو من الغيث أى يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشربة والادهان يعصرون حزة فأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجىء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى (وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول) ليخرجه من السجن (قال ارجع الى ربك) أى الملك (فاسأله مابال النسوة) أى حال النسوة (اللاتى قطعن أيديهن) انما تثبت يوسف وتأنى فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمى به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذران كان لحليما ذا أناة ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربى بكيدهن عليم) أى ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجازيهن عليه فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن (ماخطبكن) ماشأنكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى ولامزيد على شهادتهن له للبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بانه لم يتعلق بشىء مما قذف به ثم رجع الرسول الى يوسف وأخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أى امتناعى من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أنى لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب فى حرمته وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عنى أو ليعلم الملك أنى لم أخن العزيز (وأن الله) أى وليعلم أن الله (لا يهدى كيد الخائنين) لا يسدده وكانه تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا ولبيين أن

مافيه من الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها في عموم الاحوال أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم (ان النفس لامارة بالسوء) أراد الجنس أي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات (الا مارحم ربي) الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة ويجوز أن يكون مارحم في معنى الزمان أي الا وقت رحمة ربي يعني انها أمارة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة أو هو استثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا مارحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أي قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) اجعله خالصا لنفسي (فلما كلمه) وشاهد منه مالم يحتسب (قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شئ روى ان الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز مالم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه (قال) يوسف (اجعلني على خزائن الارض) ولني على خزائن ارضك يعني مصر (اني حفيظ) امين احفظ ما تستحفظنيه (عليم) عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفي الحديث رحم الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن

الارض لاستعماله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة قالوا وفيه دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عمالة من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع له (وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف في الارض) ارض مصر وكانت اربعين فرسخا في اربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة (يتبوأ منها حيث يشاء) اى كل مكان اراد ان يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء ممكنى (نصيب برحمتنا) بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك (ولا نضيع اجر المحسنين) في الدنيا (ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا الآية روى ان الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم باولادهم في السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم جميعا ثم اعتق اهل مصر عن آخرهم ورد عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين اكثر من حمل بعير واصاب ارض كنعان نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم) بلا تعريف (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو اربعون سنة روى انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبرونى من انتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي حزين لفقد ابن كان احبنا اليه وقد امسك اخاله من امه يستأنس به فقال ائتونى به ان صدقتم (ولما جهزهم بجهازهم) اعطى كل واحد منهم حمل بعير وقرئ بكسر الجيم شاذا (قال ائتونى باخ لكم من ابيكم ألا ترون انى اوفى الكيل) اتمه (وانا خير المنزلين) كان قد احسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام

على الرجوع اليه (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) فلا أبيعكم طعاما (ولا تقربون) اى فان لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل فى حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم او هو بمعنى النهى (قالوا سنراود عنه اباه) سنخادعه عنه ونحتال حتى ننزعه من يده (وانا لفاعلون) ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهنا فتركوا عنده شمعون وكان احسنهم رأيا فى يوسف (وقال لفتيانه) كوفى غير ابى بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان فى اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اى لغلمانه الكيالين (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) اوعيتهم وكانت نعالا أو ادما أو رقاوهو أليق بالدس فى الرحال (لعلهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى اهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا او ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون او ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة اولم يرمن الكرم ان يأخذ من أبيه واخوته ثمنا (فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا يا أبانا منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فأرسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حمزة وعلى أى يكتل أخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) عن أن يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعنى انكم قلتم فى يوسف أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يأمننى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) كوفى غير أبى بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال أو تمييز ومن قرأ حفظا فهو تمييز لا غير (وهو أرحم الراحمين) فارجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاردن عليك كليهما (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى) ما للنفى أى ما نبغى فى القول ولا نتجاوز الحق أو ما نبغى شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أى أى شئ نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت الينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغى والجمل بعدها معطوفة عليها أى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها (ونمير أهلنا) فى رجوعنا الى الملك أى نجلب لهم ميرة وهى طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) فى ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شئ مما نخافه (ونزداد كيل بعير) نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر لا يتعاظمه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياء مكى (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أى أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به المعهود وقد أذن الله فى ذلك فهو اذن منه (لتأتننى به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتننى به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت

وهو قوله لتأتنني به فى تأويل النفى أى لا تمتنعوا من الاتيان به الا للاحاطة بكم يعنى لا تمنعوا منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهى أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام فى المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون الا فى النفى فلا بد من تأويله بالنفى (فلما آتوه موثقهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام (قال) بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على ما نقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطلع غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالاولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله (وقال يابنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرق فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين فى الكرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده بأن يحدث الله تعالى عند النظر الى الشئ والاعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وأنكر الجبائى العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل انى أحب أن لا يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لاهلاكهم (وما أغنى عنكم من الله من شئ) أى ان كان الله أراد بكم سوأ لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى متفرقين (ما كان يغنى عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شئ) أى شيأ قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع اى ولكن حاجة (فى نفس يعقوب قضاها) وهى شفقته عليهم (وانه لذو علم) يعنى قوله وما أغنى عنكم وعلمه بأن القدر لا يغنى عنه الحذر (لما علمناه) لتعليمنا اياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قال) له (انى أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى انه قال له فأنا لا أفارقك قال لقد علمت اغتمام والدى بى فان حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالى فافعل ما بدا لك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم فقال افعل (فلما

جهزهم بجهازهم) هيأ أسبابهم وأوفى الكيل لهم (جعل السقاية فى رحل أخيه) السقاية هى مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه به الطاس من فضة أو ذهب (ثم أذن مؤذن) ثم نادى منادآذنه أى أعلمه وأذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم (أيتها العير) هى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجىء والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أبيه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) بقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف اليهم (لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فما جزاؤه) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هى خبره (كذلك نجزى الظالمين) أى السراق بالاسترقاق (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وعاء أخيه) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه لان التأنيث يرجع الى السقاية أولان الصواع يذكر ويؤنث الكاف فى (كذلك) فى محل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علمناه اياه (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لان الحكم فى دين الملك أى فى سيرته للسارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا ان يستعبد (الا أن يشاء الله) أى ما كان ليأخذه الا بمشيئة الله وارادته فيه (نرفع درجات) بالتنوين كوفي (من نشاء) أى فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه (وفوق كل ذى علم عليم) فوقه أرفع درجة منه فى علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل دجاجة فأعطاها لسائل وقيل كانت منطقة لابراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه

فلما

فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل مايزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لايزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة في رحالكم (وأسرها) أى مقالتهم انه سرق كانه لم يسمعها (يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا) تمييز أى أنتم شر منزلة في السرق لانكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) فى السن أو فى القدر (فخذ أحدنا مكانه) أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فان أباه يتسلى به عن أخيه المفقود (انا نراك من المحسنين) الينا فأتم احسانك أو من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) أى نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر الى المفعول به وحذف من (انا اذا لظالمون) اذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان أخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع فى رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم (فلما استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر فى استعصم (منه) من يوسف واجابته اياهم (خلصوا) انفردوا عن الناس خالصين لايخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته فالنجى يكون بمعنى المناجى كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذى هو التناجى وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شأن أخيهم (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أو فى العقل والرأى وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) ما صلة أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم فى يوسف (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الانصراف اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم (وهو خير الحاكمين) لانه لايحكم الا بالعدل (ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق) وقرئ سرّق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقته وتيقنا اذ الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا انه سيسرق حين أعطيناك الموثق (واسئل القرية التى كنا فيها) يعنى مصر أى أرسل الى أهلها فاسئلهم عن كنه القصة (والعير التى أقبلنا

فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وانا لصادقون) في قولنا فرجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه والا فمن أدرى ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) بيوسف وأخيه وكبيرهم (انه هو العليم) بحالي في الحزن والاسف (الحكيم) الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (وقال يا أسفا على يوسف) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الاسف ويوسف غير متكلف ونحوه اثاقلتم الى الارض أرضيتم وهم يهون عنه وينأون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبا بنيا وانما تأسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتمادي أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على ان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا (وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار ومحقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمي بصره وقيل كان قد بدرك ادرا كا ضعيفا (من الحزن) لان الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبي عليه السلام أن يبالغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه (قالوا تالله تفتؤا) أي لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ومعنى لا تفتأ لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا (أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثي وحزني الى الله) البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس أي ينشره أي لا أشكو الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي ورؤي انه أوحي الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله ما لا تعلمون) وأعلم من رحمته انه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيرك فرج عني (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة (ولا تيأسوا

من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (انه) ان الامر والشأن (لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان من آمن يعلم أنه متقلب فى رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه فى نعمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند أبيهم راجعين الى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا (فأوف لنا الكيل) الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو ردنا على حقنا أو هب لنا أخانا (ان الله يجزى المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك أن عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) أى هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف (وأخيه اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه أو اذ أنتم فى حد السفه والطيش وفعلهم بأخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن أخيه لابيه وأمه وايذاؤهم له بأنواع الاذى (قالوا أئنك) بهمزتين كوفى وشامى (لانت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران (قال أنا يوسف وهذا أخى) وانما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لانه كان فى ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (قد من الله علينا) بالالفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبد أبا الملامة (انه من يتق) الفحشاء (ويصبر) عن المعاصى وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره فى دنياه وعقباه (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا لخاطئين) وان شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قال لا تثريب عليكم) لا تعيير عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو بيغفر والمعنى لا أثر بكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضى والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونى فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى ان أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت رسول الله فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحى منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم

فانهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أى اذا رحمتكم وأنا الفقير القتور فما ظنكم بالغنى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عمى من كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصى هذا) قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى (فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) يصر بصيرا نقول جاء البناء محكما أى صار اويأت الى وهو بصير قال يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (وأتونى بأهلكم أجمعين) لينعموا بآثار ملكى كما اغتموا بأخبار هلكى (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) لولد ولده ومن حوله من قومه (انى لاجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى (قالوا) أى أسباطه (تالله انك لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قديما فى افراط محبتك ليوسف أوفى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قد مات (فلما أن جاء البشير) أى يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أوألقاه يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (قال ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف أوقوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (انى أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) أى سل الله مغفرة ما ارتكبنا فى حقك وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطايانا (قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخر الاستغفار الى وقت السحر أوالى ليلة الجمعة أوليتعرف حالهم فى صدق التوبة أوالى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجه الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) ضم اليه (أبويه) واعتنقهما قيل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته والخالة أم كما ان العم أب ومنه قوله وإله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم أنزلهم فى مضرب خيمة أوقصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم اليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا

مصران شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا بجوار أو من القحط وروى انه لما القيه قال يعقوب عليه السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم فى ذلك الوقت أن يسجد للعظم وقيل ما كانت الا انحناء دون تصفير الجباه وخرورهم سجدا أباه وقيل وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة أيضا واختلف فى استنبائهم (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها) أى الرؤيا (ربى حقا) أى صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون (وقد أحسن بى) يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه (اذ أخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا أصحاب مواشى ينتقلون فى المياه والمناجع (من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى) أى أفسد بيننا وأغرى (ان ربى لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير (انه هو العليم الحكيم) بتأخير الآمال الى الآجال أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف (رب قد آتيتنى من الملك) ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيها للتبعيض اذ لم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت ولى فى الدنيا والآخرة) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفانى بالملك الباقى (توفنى مسلما) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التسترى مسلما اليك أمرى وفى عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم (وألحقنى بالصالحين) من آبائى أو على العموم روى ان يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به فى خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يا بنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانية مراحل فقال أمرنى جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط اليه منى فاسأله فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى وروى ان يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه اسحق ففعل بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش

بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران (وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب (اذ أجمعوا أمرهم) عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيهم في البئر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على ايمانهم (وما تسئلهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل (ان هو الا ذكر) ما هو الا عظة (للعالمين) وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض يمرون عليها) على الآيات أو على الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي وما يؤمن أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجمهور على أنها نزلت في المشركين لانهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية من اثبات قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق الا الله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشملهم (من عذاب الله او تأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانها (قل هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعو الى الله على بصيرة) اي أدعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر في ادعو (ومن اتبعني) عطف عليه اي أدعو الى سبيل الله أنا ويدعو اليه من اتبعني او أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف عني أنا يخبر ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى (وسبحان الله) وأنزهه عن الشركاء (وما أنا من المشركين) مع الله غيره (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة او ليست فيهم امرأة (نوحي) بالنون حفص (اليهم من اهل

القرى) لانهم أعلم وأحلم واهل البوادى فيهم الجهل والجفاء (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة) اى ولدار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك وآمنوا به (أفلا تعقلون) وبالياء مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (حتى اذا استيأس الرسل) يئسوا من ايمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) وأيقن الرسل ان قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفى أى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا أى أخلفوا اووظن المرسل اليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه (جاءهم نصرنا) للانبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب (فنجى) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامى وعاصم على لفظ الماضى المبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل من الباقون فنجى (من نشاء) أى النبى ومن آمن به (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) الكافرين (لقد كان فى قصصهم) أى فى قصص الانبياء وأممهم اوفى قصة يوسف واخوته (عبرة لأولى الالباب) حيث نقل من غاية الحب الى غاية الحب ومن الحصير الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة (ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار (ولكن تصديق الذى بين يديه) ولكن تصديق الكتب التى تقدمته (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين لانه القانون الذى تستند اليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبيائه ومانصب بعد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فايما عبد تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فى ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كانه يقول ان أخوة يوسف مع موافقتهم اياه فى الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك فى الدين أحرى ان تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هى فى القرآن العظيم والله أعلم

﴿سورة الرعد مكية وهى ثلاث وأربعون آية كوفى وخمس وأربعون آية شامى﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المر) أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضى الله عنهما (تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب) أريد بالكتاب السورة أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها (والذى أنزل اليك من ربك) اى القرآن كله (الحق) خبر والذى (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال (الله الذى رفع السموات) أى خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر

الذى رفع السموات (بغير عمد) حال وهو جمع عماد أو عمود (ترونها) الضمير يعود الى السموات أى ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان أو الى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لعمد أى بغير عمد مرئية (ثم استوى على العرش) استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان (وسخر الشمس والقمر) لمنافع عباده ومصالح بلاده (كل يجرى لاجل مسمى) وهو انقضاء الدنيا (يدبر الامر) أمر ملكوته وربوبيته (يفصل الآيات) يبين آياته فى كتبه المنزلة (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لعلكم توقنون بان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه (وهو الذى مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنهارا) جارية (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أى الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعدما كان أبيض منيرا يغشى حمزة وعلى وأبو بكر (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان لها صانعا عليما حكيما قادرا (وفى الارض قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه (وجنات) معطوفة على قطع (من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) بالرفع مكى وبصرى وحفص عطف على قطع غيرهم بالجر بالعطف على أعناب والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان (تسقى بماء واحد) وبالياء عاصم وشامى (ونفضل بعضها على بعض) وبالياء حمزة وعلى (فى الاكل) فى الثمر وبسكون الكاف نافع ومكى (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع فى أنهارها وأزهارها وثمارها (وان تعجب) يا محمد من قولهم في انكار البعث (فعجب قولهم) خبر ومبتدأ أى فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) فى محل الرفع بدل من قولهم قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكافرون المتمادون فى كفرهم (وأولئك الاغلال فى أعناقهم) وصف لهم بالاصرار أو من جملة الوعيد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أى ظالمين لانفسهم قال السدى يعنى المؤمنين وهى أرجى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها (وان

ربك لشديد العقاب) على الكافرين أوهما جميعا فى المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأى آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويقترحون (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد) ما فى هذه المواضع الثلاثة موصولة أى يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الارحام أى ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فانها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا أو مدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عندنا والى أربع عند الشافعى والى خمس عند مالك أو مصدرية أى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شئ خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير) العظيم الشأن الذى كل شئ دونه (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء فى الحالين مكى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أى فى علمه (ومن هو مستخف بالليل) متوار (وسارب بالنهار) ذاهب فى سربه أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الارض سروبا وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف أو على مستخف غير أن من فى معنى الاثنين والضمير فى (له) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب فى حفظه والاصل معتقبات فادغمت التاء فى القاف أو هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (من بين يديه ومن خلفه) أى قدامه ووراءه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أى من أجل ان الله تعالى أمرهم بحفظه أو يحفظونه من باس الله ونقمته اذا أذنب بدعائهم له (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصى (واذا أراد الله بقوم سوأ) عذابا (فلا مرد له) فلا يدفعه شئ (وما لهم من دونه من وال) من دون الله ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) انتصبا على الحال من البرق كأنه فى نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين

أى خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ☆ يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق

أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه (وينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثقال) بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (ويسبح الرعد بحمده) قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذى يسمع زجره السحاب حتى ينتهى الى حيث أمر (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) الصاعقة نار تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ فى كل شئ واستواءه الظاهر والخفى عنده ومادل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون فى الله) يعنى الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون فى الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك ان أربد أخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامر ابغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرنى عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (وهو شديد المحال) أى المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف لاستعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون (له دعوة الحق) أضيفت الى الحق الذى هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأنه يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينتفع ولا يجدى دعاءه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أربد ظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) الاستثناء من المصدر أى من الاستجابة التى دل عليها لا يستجيبون لان الفعل

بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء أى كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واللام فى ليبلغ متعلق بباسط كفيه (وما هو ببالغه) وما الماء ببالغ فاه (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من فى السموات والارض) سجود تعبد وانقياد (طوعا) حال يعنى الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والضيق (وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقنى وقناة (والآصال) جمع أصل جمع أصيل قيل ظل كل شئ يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبى قالوا الله أو هو تلقين أى فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرر اعنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيأ ومن لا يخفى عليه شئ (أم هل تستوى الظلمات والنور) مثل الكفر والايمان يستوى كوفى غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار (خلقوا كخلقه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قد رهؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) أى خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور (أنزل) أى الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسالت أودية) جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر لا يأتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار (فاحتمل السيل) أى رفع (زبدا) هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علا زبد (رابيا) منتفخا مرتفعا

على وجه السيل (ومما توقدون عليه) وبالياء كوفى غير أبى بكر ومن لابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض أى وبعضه زبد (فى النار) حال من الضمير فى عليه أى ومما توقدون عليه ثابتا فى النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر فى موضع الحال من الضمير فى توقدون (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاوانى ومايتمتع به فى الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أى زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدا (مثله) نعت له ومما توقدون خبر له أى لهذه الفلزات اذا أغليت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) جال أى متلاشيا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفاء الرمى وجفوت الرجل صرعته (وأما ماينفع الناس) من الماء والحلى والاوانى (فيمكث فى الارض) فيثبت الماء فى العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى فى الارض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الامثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الاوانى والآلات المختلفات وذلك ماكث فى الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء فى منافعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه اذا أذيب قال الجمهور وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للابدان والاودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافى المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للاحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للاعمال المعدة بالاخلاص المعدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع فى الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل واللام فى (للذين استجابوا) أى أجابوا متعلقة ببيضرب أى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهى صفة لمصدر استجابوا أى استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أى وللكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثلا الفريقين وقوله (لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) كلام مبتدأ فى ذكر ما أعد لغير المستجيبين أى لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قدم على الامثال ومابعده كلام مستأنف والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو مع ما فى حيزه (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه فى الحديث من نوقش الحساب عذب (ومأواهم جهنم)

ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمذموم محذوف أى جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء فى (أفمن يعلم) لانكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل فى أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كمن هو أعمى) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر أولوا الالباب) أى الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولى الالباب والاول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر (ويخشون ربهم) أى وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والاموال ومشاق التكاليف (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب فى الجزع (وأقاموا الصلوة) داوموا على اقامتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أى من الحلال وان كان الحرام رزقا عندنا (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها فى السر أفضل والفرائض لان المجاهرة بها أفضل نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم أو اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا واذا أذنبوا تابوا واذا هربوا أنابوا واذا رأوا منكرا أمروا بتغييره فهذه ثمانية أعمال تشير الى ثمانية أبواب الجنة (أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة لانها التى أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنات عدن) بدل من عقبى الدار (يدخلونها ومن صلح) أى آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرئ صلح والفتح أفصح ومن فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول صار فاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد أبوا كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وأمهاتهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب فى قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) فى موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أى هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أى نسلم عليكم وننكرمكم بصبركم والاول أوجه

(فنعم عقبى الدار) الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الابعاد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره (وفرحوا بالحيوة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحيوة الدنيا فى الآخرة الا متاع) وخفى عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعجلة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أى الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه (الذين آمنوا) هم الذين أو محله النصب بدل من من (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن والقراءة فى (وحسن مآب) مرجع بالرفع والنصب تدل على محليها (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الارسال أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (فى أمة قد خلت من قبلها أمم) أى أرسلناك فى أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهى آخر الامم وأنت خاتم الانبياء (لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى أوحينا اليك (وهم يكفرون) وحال هؤلاء انهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شئ (قل هو ربى) ورب كل شئ (لا إله إلا هو) أى هو ربى الواحد المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) مرجعى فيثيبنى على مصابرتكم متابى وعقابى ومآبى فى الخالين يعقوب (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) عن مقارها (أو قطعت به الارض) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الانذار والتخويف فجواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو قادر على الآيات التى اقترحوها (أفلم ييأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهى لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشئ عالم بأنه لا يكون

كما استعمل النسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنات وهذه والله فرية مافيها مرية (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبا من دارهم) أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير عليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتى وعد الله) أى موتهم أو القيامة أو ولا يزال كفاره مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتى وعد الله أى فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أى لا خلف فى موعده (ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان فى خفض وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم فى اشراكهم بالله يعنى أفالله الذى هو رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعدل لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) أى الاصنام (قل سموهم) أى سموهم له من هم وتبؤه بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض) على أم المنقطعة أى بل أتنبؤنه بشركاء لا يعلمهم فى الارض وهو العالم بما فى السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ والمراد نفى أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفى وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضلل الله فما له من هاد) من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالقتل والاسر وأنواع المحن (ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه (وما لهم من الله من واق) من حافظ من عذابه (مثل الجنة التى وعد المتقون) صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجرى من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا يتقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (تلك عقبى الذين اتقوا) أى الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعنى منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بأرض الحبشة (يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب) أى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه

وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لاينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمنكرين أى قل انما أمرت فيما أنزل الى بأن أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لايشرك به (اليه أدعوا) خصوصا لاأدعو الى غيره (واليه) لاالى غيره (مآب) مرجعى وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يشاركهم فيها فقيل (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءك من العلم) أى بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (مالك من الله من ولى ولا واق) أى لاينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين وأن لايزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) أى ليس فى وسعه اتيان الآيات على مايقترحه قومه وانما ذلك الى الله (لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ماتقتضيه حكمته (يمحوا الله مايشاء) ينسخ مايشاء نسخه (ويثبت) بدله مايشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو من ديوان الحفظة مايشاء ويثبت غيره أو يمحو كفر التائبين ويثبت ايمانهم أو يميت من حان أجله وعكسه ويثبت مدنى وشامى وحمزة وعلى (وعنده أم الكتاب) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (وامانرينك بعض الذى نعدهم أونتوفينك) وكيفما دارت الحال أرينك مصارعهم وماوعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب (وعلينا الحساب) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهمنك أعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فتنقص دار الحرب ونزيد فى دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذى حملته ولاتهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ماوعدناك من النصرة والظفر (والله يحكم لامعقب لحكمه) لاراد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى يقفيه أى بالرد والابطال ومنه قيل

لصاحب

لصاحب الحق معقب لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى أنه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لا معقب لحكمه النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) أى كفار الامم الخالية بأنبيائهم والمكر ارادة المكروه فى خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) يعنى العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم فى غفلة عما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس كجازى وأبو عمرو (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) المراد بهم كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسلا ولهذا قال عطاء هى مكية الا هذه الآية (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) بما أظهر من الادلة على رسالتى والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أى ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته فى كتبهم وقال ابن سلام فى نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن فى موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو فى موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر فى الظرف فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذى والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذى فى الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه وفى القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر كتاب) هو خبر مبتدا محذوف أى هذا كتاب يعنى السورة والجملة التى هى (أنزلناه اليك) فى موضع الرفع صفة للنكرة (لتخرج الناس) بدعائك اياهم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (باذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق (الى صراط) بدل من النور بتكرير العامل (العزيز) الغالب بالانتقام (الحميد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدنى وشامى على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا ولما ذكر اخراج الناس من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك

فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد) وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والاصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل الذين مبتدأ خبره (أولئك فى ضلال بعيد) عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الاسناد المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لانه هو الذى يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعنى الذين أو هم الذين (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا متكلما بلغتهم (ليبين لهم) ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم نفهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعا بقوله قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل فتعين ان ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه اولى بالتعيين لانهم اقرب اليه ولانه ابعد من التحريف والتبديل (فيضل الله من يشاء) من آثر سبب الضلالة (ويهدى من يشاء) من آثر سبب الاهتداء (وهو العزيز) فلا يغالب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا أهل الخذلان (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (أن أخرج قومك) بأن أخرج أو أى أخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج قومك (من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها أو بأيام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على البلايا (شكور) على العطايا كانه قال لكل مؤمن اذا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام أى انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من نعمة الله أى اذكروا وقت انجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكر فى البقرة يذبحون وفى الاعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر (ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (واذ تأذن ربكم) أى آذن ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد ولا بد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

عليكم

عليكم واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يابنى اسرائيل ماخولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لازيدنكم) نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر تأهبت للمزيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما لئن شكرتم بالجد فى الطاعة لازيدنكم بالجد فى المثوبة (ولئن كفرتم) ماأنعمت به عليكم (ان عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى أما فى الدنيا فسلب النعمة وأما فى العقبى فتوالى النقم (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يابنى اسرائيل (ومن فى الارض جميعا) والناس كلهم (فان الله لغنى) عن شكركم (حميد) وان لم يحمده الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذى لابد لكم منه (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى لقومه أوابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله) جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا أوعطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولايعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لايعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لايعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم فى أفواههم) الضميران يعودان الى الكفرة أى أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجبا أوعضوا عليها تغيظا أوالثانى يعود الى الانبياء أى رد القوم أيديهم فى أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا به (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد (مريب) موقع فى الريبة (قالت رسلهم أفى الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وانه لايحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لفى شك (فاطر السموات والارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجئ مع من الا فى خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قدسماه وبين مقداره (قالوا) أى القوم (ان أنتم) ماأنتم (الا بشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعنى الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالايمان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى أن الاتيان بالآية التى قد

اقترحتموها ليس الينا ولا فى استطاعتنا وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايذائكم ألا ترى الى قوله (ومالنا أن لانتوكل على الله) معناه وأى عذر لنا فى أن لانتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذى يجب عليه سلوكه فى الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم مضمر أى حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لايسكوا عن دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أى فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لايكون تكرارا (وقال الذين كفروا لرسلهم) سبلنا لرسلهم أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أولتعودن فى ملتنا) أى ليكونن أحد الامرين اخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) القول مضمر أو أجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أى أرض الظالمين وديارهم فى الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الاهلاك والاسكان أى ذلك الامر حق (لمن خاف مقامى) موقفى وهو موقف الحساب أو المقام مقحم أو خاف قيامى عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابى وبالياء يعقوب (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى اليهم (وخاب كل جبار) وخسر كل متكبر بطر (عنيد) مجانب للحق معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى (من ماء صديد) مايسيل من جلود أهل النار وصديد عطف بيان لماء لانه مبهم فبين بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام أى لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (وما هو بميت) لانه لو مات لاستراح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أى فى كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها فى

الاجساد (مثل الذين) مبتدا محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الرياح مدنى (فى يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وأعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شئ) أى لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير فى الريح على شئ (ذلك هو الضلال البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (ألم تر) ألم تعلم الخطاب لكل أحد (ان الله خلق السموات والارض) خالق مضافا حمزة وعلى (بالحق) بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أى هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على اعدام الموجود وايجاد المعدوم (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر (وبرزوا لله جميعا) ويبرزون يوم القيامة وانما جئ به بلفظ الماضى لان ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شئ حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا ان الله لا تخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) فى الرأى وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (انا كنا لكم تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ) فهل تقدرون على دفع شئ مما نحن فيه ومن الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو عذاب الله أو هما للتبعيض أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لانهم علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم (قالوا) لهم مجيبين معتذرين (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو هدانا الله الى الايمان فى الدنيا لهديناكم اليه أى لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى انهم يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا

ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضي الامر) حكم بالجنة والنار لاهليهما وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفتكم) كذبتكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا ان دعوتكم) لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبتم لي) فأسرعتم اجابتي (فلا تلوموني) لان من تجرد للعداوة لايلام اذا دعا الى أمر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة (ولوموا أنفسكم) حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله أي الى الايمان لهديناكم كما مر (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة بمصرخي حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة واليا آن بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (اني كفرت بما أشركتمون) وبالياء بصري وما مصدرية (من قبل) متعلق بأشركتموني أي كفرت اليوم باشراكم اياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول أشركني فلان أي جعلني له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين لهم عذاب أليم) قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) عطف على برزوا (باذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (تحيتهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) أي وصفه وبينه (كلمة طيبة)

نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس أو انتصب مثلا وكلمة يضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدا محذوف أى هى كشجرة طيبة (أصلها ثابت) أى فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (فى السماء) والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الاركان وكما ان الشجرة شجرة وان لم تكن حاملا فالمؤمن مؤمن وان لم يكن عاملا ولكن الاشجار لا تراد الا للثمار فما أقوات النار الا من الاشجار اذا اعتادت الاخفار فى عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا فوقع فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انها النخلة فقال عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب الى من حمر النعم (تؤتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى كل شجرة لا يطيب ثمرها وفى الحديث انها شجرة الحنظل (اجتثت من فوق الارض) استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو فى مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (يثبت الله الذين آمنوا) أى يديمهم عليه (بالقول الثابت) هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله (فى الحيوة الدنيا) حتى اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود وغير ذلك (وفى الآخرة) الجمهور على ان المراد به فى القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت حميدا نم نومة العروس (ويضل الله الظالمين) فلا يثبتهم على القول الثابت فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شئ وهم فى الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) فلا اعتراض عليه فى تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله) أى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين

تابعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أمثالا في العبادة أو في التسمية (ليضلوا عن سبيله) وبفتح الياء مكى وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية وقال ذو النون التمتع ان يقضى العبد ما استطاع من شهوته (فان مصيركم الى النار) مرجعكم اليها (قل لعبادى الذين آمنوا) خصهم بالاضافة اليه تشريفا وبسكون الياء شامى وحمزة وعلى والاعشى (يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم) المقول محذوف لان قل تقتضى مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز (سرا وعلانية) انتصبا على الحال أى ذوى سر وعلانية يعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله بفتحهما مكى وبصرى والباقون بالرفع والتنوين (الله) مبتدأ (الذى خلق السموات والارض) خبره (وأنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائمين وهو حال من الشمس والقمر أى يدأبان فى سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من للتبعيض أى آتاكم بعض جميع ما سألتموه أو وآتاكم من كل شئ سألتموه ومالم تسألوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقى يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر من كل عن أبى عمرو وما سألتموه نفى ومحله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أو ما موصولة أى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدها و بلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يعلمه الا الله (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها أو ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع و يمنع والانسان للجنس فيتناول الاخيار بالظلم والكفران من يوجدان منه (واذ قال ابراهيم) واذكر اذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد) أى البلد الحرام (آمنا) ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما فى البقرة انه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التى يأمن أهلها وفى الثانى أن يخرجه من صفة الخوف الى الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله

آمنا (واجنبني) وبعدني أي ثبتني وأدمني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أي ثبتنا على الاسلام (وبني) أراد بنيه من صلبه (أن نعبد الاصنام) من ان نعبد الاصنام (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسبيب لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن أضللنهم (فمن تبعني) على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي (فانه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي (ومن عصاني) فيما دون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا اني أسكنت من ذريتي) بعض أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادي مكة (غير ذي زرع) لا يكون فيه شيء من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أولانه لم يزل ممنعا يهابه كل جبار أولانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أولانه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه (ربنا ليقيموا الصلوة) اللام متعلقة باسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك (فاجعل أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض لما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل أفئدة ناس ونكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة (تهوي اليهم) تسرع اليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقا (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بأن تجلب اليهم من البلاد الشاسعة (لعلهم يشكرون) النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات في واد ليس فيه شجر ولا ماء (ربنا) النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله (انك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن (وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام أو من كلام ابراهيم ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى على الله شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير (اسمعيل واسحق) روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها أعظم لانها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربي لسميع الدعاء) مجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته واضافة السميع الى الدعاء من اضافة الصفة الى فعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا

رحيما اياه (رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة (ربنا وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو وحمزة في الوصل الباقون بلا ياء اي استجب دعائي او عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولوالدي) اي آدم وحواء اوقاله قبل النهي واليأس عن ايمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) اي يثبت او أسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا مثل واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر وكما جاء في الامر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم (انما يؤخرهم) اي عقوبتهم (ليوم تشخص فيه الابصار) اي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي (مقنعي رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) صفر من الخير لا تعي شيأ من الخوف والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة وقيل جوف لا عقول لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) اي يوم القيامة ويوم مفعول ثان لأنذر لا ظرف اذ الانذار لا يكون في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) اي الكفار (ربنا أخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) اي ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) اي حلفتم في الدنيا انكم اذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله اقسمتم واوحى لفظ المقسمين لقيل مالنا من زوال اوارید بالیوم یوم هلاکهم بالعذاب العاجل او یوم موتهم معذبین بشدة السکرات ولقاء الملائکة بلا بشری فانهم یسألون یومئذ ان یؤخرهم ربهم الی اجل قریب یقال سکن الدار وسکن فیها ومنه (وسکنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديته بفي نحو قر في الدار واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم)

بالاخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام أى تبين لكم حالهم و (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ماقبله وانما نصب كيف بقوله (فعلنا بهم) أى أهلكناهم وانتقمنا منهم (وضربنا لكم الامثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطلان الاسلام (وعند الله مكرهم) وهو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو الى المفعول أى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لزوال أمر النبى صلى الله عليه وسلم فعبر عن النبى عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة أو ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أى وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها فان مخففة من ان واللام مؤكدة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن أنا ورسلى مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف الى وعده وهو المفعول الثانى له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وانما قدم المفعول الثانى على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لاوليائه من أعدائه وانتصاب (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) على الظرف للانتقام أو على اضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات وانما حذف لدلالة ماقبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفى الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل واختلف فى تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها وتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب (وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر فى غاية الشدة (وترى المجرمين)

الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض اومع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغلين (فى الاصفاد) متعلق بمقرنين اى يقرنون فى الاصفاد او غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود او الاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) هو ما يحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله اوا وعد به فى الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه مالا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامى والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطر آن زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره اناه (وتغشى وجوههم النار) تعلوها باشتعالها وخص الوجه لانه اعز موضع فى ظاهر البدن كالقلب فى باطنه واذا قال تطلع على الافئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) اى يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت اوكل نفس مجرمة اومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد فى اسرع من لمح البصر (هذا) اى ما وصفه فى قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية فى التذكير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا (وليعلموا انما هو إله واحد) لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله (وليذكر اولوا الالباب) ذوو العقول

﴿سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا واى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال وللغرابة فى البيان (ربما) بالتخفيف مدنى وعاصم وبالتشديد غيرهما وما هى الكافة لانها حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة فاذا كفت وقع بعدها الفعل الماضى والاسم وانما جاز (يود الذين كفروا) لان المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ودوا ودادتهم تكون عند النزع او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين اواذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما جىء بها على لفظ

الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما قال يرب لان أهوال القيامة تشغلهم عن التمني فاذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعني بها الكثرة سهو لانه ضد ما يعرفه أهل اللغة لانها وضعت للتقليل (ذرهم) أمر اهانة أى اقنع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم الامل) ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم ومايؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لايتوسط الواو بينهما كما فى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف اذا الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجئ بالواو تأكيدا لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها فى حكم الموصوفة كانه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفا وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح المحفوظ وبين ألا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) فى موضع كتابها (وما يستأخرون) أى عنه وحذف لانه معلوم وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أى الكفار (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) أى القرآن (انك لمجنون) يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء والتهكم سائغ ومنه فبشرهم بعذاب أليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعى أن الله نزل عليك الذكر (لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) لو تركبت مع لا ومالا متناع الشئ لوجود غيره أو للتحضيض وهل تركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا (ما ننزل الملائكة) كوفى غير أبى بكر تنزل الملائكة أبو بكر تنزل الملائكة أى تتنزل غيرهم (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما أخر عذابهم (إنا نحن نزلنا الذكر) القرآن (وإنا له لحافظون) وهو رد لانكارهم واستهزائهم فى قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع وأنه هو الذى نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله وانا له لحافظون دليلا على أنه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية

لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) أي ولقد أرسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا به يستهزؤن) يعزى نبيه عليه السلام (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) أي كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال (لا يؤمنون به) بالله أو بالذكر وهو حال (وقد خلت سنة الاولين) مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فظلوا فيه يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت أبصارنا) حيرت أو حبست من الابصار من السكر أو من السكر سكرت مكي أي حبست كما يحبس النهر من الجري والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء تخيل له لا حقيقة له ولقالوا (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (ولقد جعلنا في السماء) خلقنا فيها (بروجا) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أي السماء (للناظرين وحفظناها) أي السماء (من كل شيطان رجيم) ملعون أو مرمي بالنجوم (الا من استرق السمع) أي المسموع ومن في محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) نجم ينقض فيعود (مبين) ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها (والارض مددناها) بسطناها من تحت الكعبة والجمهور على أنه تعالى مدها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) في الارض جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكيل الى الوزن (وجعلنا لكم فيها) في الارض (معايش) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ (ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش

وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطؤن فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أى وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كانها الاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم الريح حمزة (فانزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وانا لنحن نحيي ونميت) أى نحيي بالايجاد ونميت بالافناء أو نميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير اذ الواو للجمع المطلق (ونحن الوارثون) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر (وان ربك هو يحشرهم) أى هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم (انه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من صلصال) طين يابس غير مطبوخ (من حمإ) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حمإ أى طين أسود متغير (مسنون) مصور وفي الاول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض (والجان) أبا الجان كآدم للناس أو هو ابليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره (خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التي خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس ثمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص (فقعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض يعني اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع بابه التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل تأويل التفرق قطعه بقوله أجمعون (الا

ابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملعونا وقال فى الكشاف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض لك فى ابائك السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حدا للعنة لانه أبعد غاية يضربها الناس فى كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة فى السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قال رب فأنظرنى) فأخرنى (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين و يوم يبعثون و يوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأنظر الى آخر أيام التكليف (قال رب بما أغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن لهم ومعنى أقسم باغوائك اياى (لازينن لهم) المعاصى ونحوه قوله بما أغويتنى لازينن لهم فبعزتك لاغوينهم فى أنه أقسام الا أن أحدهما اقسام بصفة الذات والثانى بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا والآية حجة على المعتزلة فى خلق الافعال وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر (فى الارض) فى الدنيا التى هى دار الغرور وأرادانى أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو فى السماء فانا على التزيين لاولاده فى الارض أقدر (ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصرى ومكى وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه (قال هذا صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) أى هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على الى على يعقوب من علوا الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل

أبواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (ان المتقين فى جنات وعيون) وبضم العين مدنى وبصرى وحفص المتقى على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال فى الشرح ان دخل أهل الكبائر فى قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر والا فالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أى سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن فى القلب أى ان كان لاحدهم غل فى الدنيا على آخر نزع الله ذلك فى الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب (اخوانا) حال (على سرر متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيثما دار وافيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا (لا يمسهم فيها نصب) فى الجنة تعب (وما هم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) تقرير لما ذكر وتمكينا له فى النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه فى العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف (ونبئهم) وأخبر أمتك على نبئ عبادى ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أى أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجئ واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قال) أى ابراهيم (انا منكم وجلون) خائفون لامتناعهم من الاكل أو لدخولهم بغير اذن وبغير وقت (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل أى انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بغلام عليم) هو اسحق لقوله فى سورة هود فبشرناها باسحق (قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر) أى أبشرتمونى مع مس الكبر بان يولدلى أى ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قيل فبأى أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكى والاصل تبشرونني فادغم نون الجمع فى نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرونني فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) باليقين الذى لا لبس فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من

ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصرى وعلى (من رحمة ربه الا الضالون) الا المخطؤن طريق الصواب أو الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون أى لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعاد له فى العادة التى أجراها (قال فما خطبكم) فما شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير فى مجرمين كانه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين لان آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الارسال بمعنى أنهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى المرمى فى انه فى معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال يعنى ان الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى (انا لمنجوهم أجمعين) مجرى خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم (الا امرأته) مستثنى من الضمير المجرور فى لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وهنا قد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا أو بمجرمين والا امرأته متعلق بمنجوهم فكيف يكون استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر (انها لمن الغابرين) الباقين فى العذاب قيل لو لم تكن اللام فى خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أى لا أعرفكم أى ليس عليكم زى السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقونى بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أى يشكون ويكذبونك (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فى الاخبار بنزوله بهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) فى آخر الليل أو بعد ما يمضى شئ صالح من الليل (واتبع أدبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لان من يلتفت لا بد له فى ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضى اليه وهو الشام

أومصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفى ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصبحين) وقت دخولهم فى الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى لان من أساء الى ضيفى فقد أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أى ولا تذلون باذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان وبالياء فيهما يعقوب (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أوعن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتى) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك انهم لفى سكرتهم) أى فى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك أو الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط تعظيما له والعمر والعمر واحد وهو البقاء الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف لكثرة دور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمى (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (فجعلنا عاليها سافلها) رفعها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشئ بسمة ظاهرة (وانها) وان هذه القرى يعنى آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بذلك (وان كان أصحاب الايكة) وان الامر والشأن كان أصحاب الايكة أى الغيضة (لظالمين) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانتقمنا منهم) فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا (وانهما) يعنى قرى قوم لوط والايكة (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومعمر البناء لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعنى بتكذيبهم صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الحبيبيون فى ابن الزبير وأصحابه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين)

أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أى ينقبون فى الجبال بيوتا أو يبنون من الحجارة (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين) فى اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة) أى القيامة لتوقعها كل ساعة (لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح الصفح الجميل) فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم (ولقد آتيناك سبعا) أى سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (من المثانى) هى من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما يتكرر فى الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحد مثناة أو مثنية صفة لآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كانها تثنى على الله واذا جعلت السبع مثانى فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثانى فمن للتبعيض (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشئ على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثانى والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله (لا تمدن عينيك) أى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعنى قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وان عظمت فهى اليها حقيرة وهى القرآن العظيم فعليك ان تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا وفى الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبى بكر من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولا تحزن عليهم) أى لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء (وقل) لهم (انى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين)

وهم أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى أو اريد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أى انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فى القرآن أو فى كتب الله (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع فى الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله

☆ أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ☆ (وأعرض عن المشركين) هو أمر استهانة بهم (انا كفيناك المستهزئين) الجمهور على انها نزلت فى خمسة نفر كانوا يبالغون فى ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات والعاص بن وائل دخل فى أخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات والاسود بن عبد المطلب عمى والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والحرث بن قيس امتخط قيحا ومات (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) فيك أو فى القرآن أو فى الله (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم (واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت يعنى مادمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة

﴿سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظر القرب وقوعه (فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ جل وعز عن أن يكون له شريك وعن اشراكهم فما موصولة أو مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد او يحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا) أن مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا أنا فاتقون فخافون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وهو قوله (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) وبالتاء في الموضعين حمزة وعلي وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) أي فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة لا حس به ولا حركة أو فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله (والانعام خلقها لكم) هي الازواج الثمانية وأكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الانسان أي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان (فيها دفء) هو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنها تأكلون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه (ولكم فيها جمال حين تريحون) ترددونها من مراعيها الى مراحها بالعشي (وحين تسرحون) ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي لان الرعيان اذا روحوها بالعشي سرحوها بالغداة تزينت بارتياحها وتسريحها الافنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة أظهر اذا

أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) وبفتح الشين أبو جعفر وهما لغتان فى معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه لولم تخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم أو معناه لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والانس ومنه وأخرجت الارض أثقالها أى بنى آدم (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) عطف على الانعام أى وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره فى الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر فى مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه يتعالى عن أن يشرك به غيره (وعلى الله قصد السبيل) المراد به الجنس ولذا قال (ومنها جائر) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحجج ومنها جائر أى من السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بانزل أو خبر لشراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى (فيه تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالمرعى علامات فى الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون الا فى الجنة وانما أنبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فيستدلون بها على قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم فى الارض) معطوف على الليل والنهار أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك

(مختلفا) حال (ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وانما لا يحنث بأكله اذا حلف لا يأكل لحما لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار (وتستخرجوا منه حلية) هى اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بها من أجلهم فكانها زينتهم ولباسهم (وترى الفلك مواخر) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقا والمخر شق الماء بحيزومها (فيه) فى البحر (ولتبتغوا من فضله) هو عطف على محذوف اى لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) كراهية أن تميل بكم وتضطرب اولئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر قيل خلق الله الارض فجعلت تميد فقالت الملائكة ما هى بمقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا الان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم اوالى توحيد ربكم (وعلامات) هى معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغيره ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس اوهو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه أراد قريشا فلهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (أفمن يخلق) اى الله تعالى (كمن لا يخلق) اى الاصنام وجىء بمن الذى هو لاولى العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى أولى العلم اولان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة فى خلق الافعال (أفلا تذكرون) فتعرفون فسادما أنتم عليه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر وانما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان ما وراءها لا ينحصر ولا يعد (ان الله لغفور رحيم) يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من اقوالكم وافعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وبالتاء غير عاصم (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) اموات) اى هم اموات (غير احياء وما يشعرون أيان يبعثون) نفى عنهم خصائص

الالهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات اى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين اى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (إلهكم إله واحد) اى ثبت بما مر أن الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الاقرار بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) اى سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعنى المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) ماذا منصوب بأنزل اى اى شئ أنزل ربكم اومرفوع على الابتداء اى اى شئ أنزله ربكم وأساطير خبر مبتدا محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير الاولين اى احاديث الاولين وأباطيلهم واحدتها اسطورة واذارأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وانه نبي فهم الذين قالوا خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال (ألا ساء ما يزرون) محل ما رفع (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) اى من جهة القواعد وهى الاساطين وهذا تمثيل يعنى أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله اى أمره بالاستئصال (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزى سوى ما عذبوا به فى الدنيا (ويقول أين شركائى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم تشاقون نافع اى تشاقوننى فيهم لان مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) اى الانبياء والعلماء من امهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون عند ذلك شماتة بهم أو هم الملائكة (ان الخزى اليوم) الفضيحة (والسوء) العذاب (على الكافرين)

الذين تتوفاهم الملائكة) وبالياء حمزة وكذا ما بعده (ظالمي أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أي الصلح والاستسلام أي اخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفر ان والعداوة فرد عليهم أولوا العلم وقالوا (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أي ثواب وأمن وغنيمة وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة احسانهم (ولدار الآخرة خير) أي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خبر لمبتدا محذوف أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لانه في مقابلة ظالمي أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ويقال لهم في الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) بعملكم (هل ينظرون) ما ينتظر هؤلاء الكفار (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم وبالياء على وحمزة (أو يأتي أمر ربك) أي العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان صوابا (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني البحيرة والسائبة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) بأن وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) الشيطان يعني طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي لزمته لاختياره اياها (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم

وأعلمه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (أن تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل) بفتح الياء وكسر الدال كوفي الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولا يهدى خبره (ومالهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذى أعدلهم (واقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على وقال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو اثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعده حق أو انهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذى يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فى قولهم لا يبعث الله من يموت (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أى فهو يكون وبالنصب شامى وعلى على جواب كن قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى اذا أردنا وجود شئ فليس الا أن نقول له أحدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الايجاد يبين أن مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات (والذين هاجروا فى الله) فى حقه ولوجهه (من بعد ما ظلموا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) صفة للمصدر أى تبوئة حسنة أو لنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (ولأجر الآخرة أكبر) الوقف لازم عليه لان جواب (لو كانوا يعلمون) محذوف والضمير للكفار أى لو علموا ذلك لرغبوا فى الدين أو للمهاجرين أى لو كانوا يعلمون لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) أى هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا وكلاهما مدح أى صبروا على مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون الامر الى ربهم ويرضون بما أصابهم فى دين الله ولما قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) على السنة الملائكة نوحى حفص (فاسئلوا أهل الذكر) أهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر) أى بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له أى رجالا ملتبسين بالبينات أو بارسلنا مضمرا كانه قيل بم أرسل الرسل فقيل بالبينات أو بنوحى أى نوحى اليهم بالبينات أو بلا تعلمون وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة

وقوله (وأنزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) فى الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا (ولعلهم يتفكرون) فى تنبيهاته فينتبهوا (أفأمن الذين مكروا السيئات) أى المكرات السيآت وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أن يخسف الله بهم الارض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى بغتة (أو يأخذهم فى تقلبهم) متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فانما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم (أولم يروا) و بالتاء حمزة وعلى وأبو بكر (الى ما خلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتفيؤا ظلاله) أى يرجع من موضع الى موضع و بالتاء بصرى (عن اليمين) أى الايمان (والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ (وهم داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير فى ظلاله لانه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من أوصاف العقلاء أولان فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التى لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها أى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير ممتنعة (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) من بيان لما فى السموات وما فى الارض جميعا على أن فى السموات خلقا يدبون فيها كما تدب الاناسى فى الارض أو بيان لما فى الارض وحده والمراد بما فى السموات ملائكتهن و بقوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم و بسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجئ بما الذى هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جئ بمن لتناول العقلاء خاصة (وهم لا يستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير فى لا يستكبرون اى لا يستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده (ويفعلون ما يؤمرون) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى وانهم بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد

المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد واليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاياى فارهبون) نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترغيب من قوله فاياه فارهبوا فارهبونى يعقوب (وله ما فى السموات والارض وله الدين) اى الطاعة (واصبا) واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف أو وله الجزاء دائما يعنى الثواب والعقاب (أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة) واى شئ اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب (فمن الله) فهو من الله (ثم اذا مسكم الضر) المرض والفقر والجدب (فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) الخطاب فى وما بكم من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافروهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة ثم أوعدهم فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) هو عدول الى الخطاب على التهديد (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) اى لآلهتهم ومعنى لا يعلمون انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لانها جماد لا تضر ولا تنفع او الضمير فى لا يعلمون للآلهة اى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (تالله لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) أنها آلهة وانها أهل للتقرب اليها (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعنى البنين ويجوز فى ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه اى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا) اى صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يستخفى منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر (أيمسكه على هون) أيمسك ما بشر به على هون وذل (أم يدسه فى التراب) أم يئده (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الأعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب فى تنفيذ

ما أراد (الحكيم) فى امهال العباد (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض (من دابة) قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبى هريرة رضى الله عنه ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك يدب (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى أجل كل أحد أووقت تقتضيه الحكمة أوالقيامة (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ويجعلون لله مايكرهون) مايكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولاصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهى الجنة ان كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبوجعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا قدمته أومنسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات أى التقصير فيها (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أى أرسلنا رسلا الى من تقدمك من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسل (فهو وليهم اليوم) أى قرينهم فى الدنيا تولى اضلالهم بالغرور أوالضمير لمشركى قريش أى زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم أوهو على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (ولهم عذاب أليم) فى القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الالتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) هو البعث لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذى أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لافعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه لايسمع (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه) وبفتح النون نافع وشامى وابوبكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام فى الاسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا وأما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما فى بطونه (من بين فرث ودم لبنا خالصا) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لايبغى أحدهما عليه بلون ولاطعم ولارائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى

الكرش ثم يخرج وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تميز العمل من العيوب كتميز اللبن من بين فرث ودم (سائغا للشاربين) سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية لابتداء الغاية ويتعلق (ومن ثمرات النخيل والاعناب) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء أو تتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد والضمير فى منه يرجع الى المضاف المحذوف الذى هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان أحدهما ان الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله الى حد السكر ويحتجان بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة (ورزقا حسنا) هو الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل) وألهم (أن اتخذى من الجبال بيوتا) هى أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا ومن فى من الجبال (ومن الشجر ومما يعرشون) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون النحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى تعسل فيها للتبعيض لانها لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير فى يعرشون للناس وبضم الراء شامى وأبو بكر (ثم كلى من كل الثمرات) أى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهيها فاذا أكلتها (فاسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو اذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضللين فيها (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه مما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الادوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذى فيه أو لان فيه بعض الشفاء لان النكرة فى الاثبات تخص وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا فجاءه وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع الروافض ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم ان رجلا قال محمد

المهدى انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فى عجيب أمرها فيعلمون ان الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أعطى أولى العقول عقولهم (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بقبض أرواحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) لينسى ما يعلم أولئلا يعلم زيادة علم على علمه (ان الله عليم) بحكم التحويل الى الارذل من الاكمل أو الى الافناء من الاحياء (قدير) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) أى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم (فما الذين فضلوا) فى الرزق يعنى الملاك (برادى) بمعطى (رزقهم على ما ملكت أيمانهم) فكان ينبغى أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم (فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت فى موضع جملة فعلية فى موضع النصب لانه جواب النفى بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم فى الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء (أفبنعمة الله يجحدون) وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أى من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد * واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أى بعضها لان كل الطيبات فى الجنة وطيبات الدنيا انموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو ما يعتقدونه من منفعة الاصنام وشفاعتها (وبنعمة الله) أى الاسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ) أى الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق شيأ فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان أردت المصدر نصبت به شيأ أى لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه أى قليلا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا أى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق والضمير فى (ولا يستطيعون) لما لانه فى معنى الآلهة بعد ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له أى فلا تجعلوا له

شركاء

شركاء (ان الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأنتم لا تعلمون) ذلك أو ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه الاول ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلا عبدا) هو بدل من مثلا (مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) مصدران في موضع الحال أى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه ما شاء وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شئ ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أى وحرا رزقناه ليطابق عبدا أو موصولة (هل يستوون) جمع الضمير لارادة الجمع أى لا يستوى القبيلان (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) بأن الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ) الابكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله (أينما يوجهه لا يأت بخير) حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) أى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته وللاصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع (ولله غيب السموات والارض) أى يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الا كلمح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان أقل منه (أو هو) أى الامر (أقرب) وليس هذا الشك للمخاطب ولكن المعنى كونها في هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباع الكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة (لا تعلمون شيأ) حال أى غير عالمين شيأ من حق المنعم الذى خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) أى وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع في غيرها (ألم يروا) وبالتاء شامى وحمزة (الى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك (في جو السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في

سمت العلو (مايمسكهن) فى قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته وفيه نفى لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الخلق لاغنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أى مايسكن اليه وينقطع اليه من بيت أوألف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى قباب الأدم (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) بسكون العين كوفى وشامى وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم فى منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت (ومن أصوافها) أى أصواف الضأن (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أثاثا) متاع البيت (ومتاعا) وشيأ ينتفع به (الى حين) مدة من الزمان (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) كالاشجار والسقوف (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ماستر ك من كهف أوغار (وجعل لكم سرابيل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهى تقى البرد أيضا الا أنه اكتفى باحد الضدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وسرابيل تقيكم بأسكم) ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم والبأس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أوغيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام (فانما عليك البلاغ المبين) أى فلا تبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت (يعرفون نعمة الله) التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم أوفى الشدة ثم فى الرخاء (وأكثرهم الكافرون) أى الجاحدون غير المعترفين أونعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة أن يعترف لا ان ينكر (ويوم) انتصابه باذكر (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على أن لا حجة لهم ولا عذر (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون أى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم انهم يمنون أى يبتلون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا أدلاء بحجة (واذا رأى الذين ظلموا كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) أى العذاب بعد الدخول (ولاهم ينظرون) يمهلون قبله (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التى عبدوها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) أى آلهتنا التى جعلناها شركاء (الذين كنا ندعوا من دونك) أى نعبد (فالقوا اليهم

القول انكم لكاذبون) أى أجابوهم بالتكذيب لانها كانت جمادا لا تعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وألقوا) يعنى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) القاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) فى أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وحملوا غيرهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أى عذابا بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بالصد (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) بليغا (لكل شئ) من أمور الدين أما فى الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالاجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع أصحابه بقوله أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد والقياس مع انه أمرنا به بقوله فاعتبروا يا أولى الابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابى والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شئ (وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ودلالة الى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية فى الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذى حق الى حقه (والاحسان) الى من أساء اليكم أو هما الفرض والندب لان الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وايتاء ذى القربى) واعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة فى القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغى) طلب التطاول بالظلم والكبر (يعظكم) حال أو مستأنف (لعلكم تذكرون) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسلمت الا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يستقر الايمان فى قلبى حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان فى قلبى فقرأتها على الوليد ابن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل ان الهه ليأمر بمكارم الاخلاق وهى أجمع آية فى القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر فى آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة (بعد توكيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكد وكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة

بدل منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من البر والحنث فيجازيكم به (ولا تكونوا) فى نقض الايمان (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) كالمرأة التى انحت على غزلها بعد ان أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هى ريطة وكانت حمقاء تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم) حال كانكاثا (دخلا) أحد مفعولى تتخذ أى ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) أى مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعنى جماعة قريش (هى أربى من أمة) هى أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين هى أربى مبتدأ وخبر فى موضع الرفع صفة لامة وأمة فاعل تكون وهى تامة وهى ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين (انما يبلوكم الله به) الضمير للصدر أى انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذ اجازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدى من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة فتجزون به (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظمه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) فى الدنيا (بما صددتم) بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا كان قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (انما عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم) من اعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد (وليجزين) وبالنون مكى وعاصم (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى) من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الموعد النوعين (وهو مؤمن) شرط الايمان لان أعمال الكفار غير معتد

بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان (فلنحيينه حياة طيبة) أى فى الدنيا لقوله (ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فامره بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء للتعقيب اذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعنى ابليس (الرجيم) المطرود أو الملعون قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام (انه ليس له) لابليس (سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وساوسه (انما سلطانه على الذين يتولونه) يتخذونه وليا ويتبعون وساوسه (والذين هم به مشركون) الضمير يعود الى ربهم أو الى الشيطان أى بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (قالوا انما أنت مفتر) هو جواب اذا وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق (بل أكثرهم لا يعلمون) الحكمة فى ذلك (قل نزله روح القدس) أى جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من المآثم (من ربك) من عنده وأمره (بالحق) حال أى نزله ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة (للمسلمين) وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) أرادوا به غلاما كان لحويطب قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمى أو عبدان جبر ويسار كانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسى (لسان الذى يلحدون اليه) وبفتح الياء والحاء حمزة وعلى (أعجمى وهذا لسان عربى مبين) أى لسان

الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمى غير بين وهذا القرآن لسان عربى مبين ذو بيان وفصاحة رد القولهم وابطالا لطعنهم وهذه الجملة أعنى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى القرآن (لا يهديهم الله) ما داموا مختارين الكفر (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة على كفرهم (انما يفترى الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم انما أنت مفتر (وأولئك) اشارة الى الذين لا يؤمنون أى وأولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر جوزوا أن يكون (من كفر بالله من بعد ايمانه) شرطا مبتدأ وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وأن يكون بدلا من المبتدا الذى هو أولئك أى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما أول قتيلين فى الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل أبو عمار أفضل لان فى الصبر على القتل اعزاز الاسلام (ذلك) اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم (بانهم استحبوا) آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) أى بسبب ايثارهم الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) ما داموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يتدبرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال

أولئك (للذين هاجروا) من مكة أى انه لهم لا عليهم يعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر فتنوا شامى أى بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الاكراه (يوم تأتى) منصوب برحيم أو باذكر (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس لانه يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وتوفى كل نفس ما عملت) تعطى جزاء عملها وافيا (وهم لا يظلمون) فى ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها (كانت آمنة) من القتل والسبى (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أى فى حال التباسهم بالظلم قالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى أهل مكة فى سنى القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على يدى محمد صلى الله عليه وسلم (حلالا طيبا) بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث المكسوب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم

عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما للحصر أى المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها وباقى الآية قدمر تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) هو منصوب بلا تقولوا أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحى أو الى القياس المستنبط منه واللام مثلها فى قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا الوصف ألسنتكم الكذب أى ولا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول فى أفواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام فى (لتفتروا على الله الكذب) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدا محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) فى سورة الانعام يعنى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) فى موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) بتكفير ما كثر واقبل من الجرائم (رحيم) بتوثيق ما وثقوا بعده من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار أو كان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير (قانتا لله) هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان معاذا كان أمة قانتا لله فقيل له انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضى الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الامة ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون (حنيفا) مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام (ولم يك من المشركين) نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة أبيهم ابراهيم وحذف النون للتشبيه بحروف اللين (شاكرا لانعمه) روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف

فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافانى وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه فى الدنيا حسنة) نبوة وأموالا وأولادا أو هو يه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أو قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فى ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والايذان بأن أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أى فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) روى ان موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الاشرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فاطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو أهله (ادع الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة والحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة فى الدين (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) سمى الفعل الاول عقوبة والعقوبة هى الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبى عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال أما والذى أحلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف فى تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) الضمير فى لهو يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وماصبرك الا بالله) أى بتوفيقه وتثبيته (ولا تحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين ومافعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم (ولا تك في ضيق مما يمكرون) ضيق مكى والضيق تخفيف الضيق أى فى أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فانه لا ينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أى هو ولى الذين اجتنبوا السيآت وولى العاملين بالطاعات قيل من اتقى فى أفعاله وأحسن فى أعماله كان الله معه فى أحواله ومعينه نصرته فى المأمور وعصمته فى المحظور

(سورة بنى اسرائيل مكية وهى مائة وعشر آيات بصرى واحدى عشرة آية كوفى وشامى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم وسرى وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف وقيده بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل للتأكيد أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة (من المسجد الحرام) قيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقى الانبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان فى اليقظة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا معزية للنائم (الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء عليهم السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة (لنريه) أى محمدا عليه السلام (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها من الآيات (انه هو السميع) للاقوال (البصير) بالافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه) أى الكتاب وهو التوراة (هدى لبنى اسرائيل أن لا تتخذوا) أى لا تتخذوا وبالياء أبو عمرو

أى لئلا يتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهى أى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) فى السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الابناء كذلك (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون فى الارض لا محالة والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال وأقسمنا لتفسدن فى الارض (مرتين) أولاهما قتل زكرياء عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والاخرى قتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا فى الارض والمراد به البغى والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فاذا جاء وعد أولاهما) أى وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم) سلطنا عليكم (عبادا لنا أولى بأس شديد) أشداء فى القتال يعنى سنجاريب وجنوده أو بختنصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فجاسوا خلال الديار) تردد واللغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشئ بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعد الابدان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت والصحيح أنها على بابها الان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت أو سيئة يعنى ان الاحسان والاساءة تختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوؤا) أى هؤلاء (وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامى وحمزة وأبو بكر والضمير لله عزوجل أو للوعد أو للبعث للمساءة على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) ما عـلوا مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة

أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما سلط عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها وهى توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته اوللملة اوللطريقة (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حمزة وعلى (أن لهم) بان لهم (أجرا كبيرا) اى الجنة (وأن الذين) وبأن الذين (لايؤمنون بالآخرة أعتدنا) اى أعددنا قلبت تاء (لهم عذابا أليما) يعنى النار والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) اى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير او يطلب النفع العاجل وان قل بالضر الآجل وان جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب كل ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنى المتبصر او أريد بالانسان الكافر وانه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع فى الخط على موافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) اى الليل والنهار آيتان فى أنفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة أو وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعنى حساب الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار (وكل شئ) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله (فى عنقه) يعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل للعنق لا يفك عنه (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه) هو صفة لكتابا يلقاه شامى (منشورا) حال من يلقاه يعنى غير مطوى ليمكنه قراءته او هما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) اى كتاب أعمالك وكل يبعث قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة اى كفى نفسك (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا او بمعنى الكافى وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى ما أهمه

وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذ الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكانه قيل كفى نفسك رجلا حسيبا أو تؤول النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وماصح منا ان نعذب قوما عذاب استئصال فى الدنيا الا بعد أن نرسل اليهم رسولا يلزمهم الحجة (واذا أردنا أن نهلك قرية) أى أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن أبى عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب أمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النسل (فحق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمرناها تدميرا) فاهلكناها اهلاكا (وكم) مفعول (أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) يعنى عادا وثمود وغيرهما (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا) وان أخفوها فى الصدور (بصيرا) وان أرخوا عليها الستور (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء) لا ما يشاء (لمن نريد) بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من أى من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقى فقد اختار غنى الآخرة فان أوتى حظا من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم) فى الآخرة (يصلاها) يدخلها (مذموما) ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أوحقها من السعى وكفاءها من الاعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله فى وعده ووعيده (فاولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فانه شرط فيها ثلاث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الآخرة والسعى فيما كلف والايمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (نمد هؤلاء) بدل من كلا أى نمد هؤلاء (وهؤلاء) أى من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق بنمد والعطاء اسم للمعطى أى نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصى جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (أنظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى المال والجاه والسعة والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) روى ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فلحق

على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته (فتقعد مذموما مخذولا) فتصير جامعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محروما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا الا إياه) أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين احسانا (إما يبلغن عندك الكبر) إما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه (أحدهما) فاعل يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلي يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلا تقل لهما أف) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التنكير أي أتضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف أي أتضجر التضجر المعلوم (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر اخوان (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب أو هو أن يقول يا أبتاه يا أماه ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مامور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه

وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى يفعل البار ماشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ماشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) بما فى ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكراهة فى خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدى الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاوابين غفورا) الاواب الذى اذا أذنب بادر الى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى) منك (حقه) أى النفقة اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال فى غير الحل والمحل فمن جاهد لو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة وهى غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان أو هم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغى أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (وإما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أى وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم بيسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر فى موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير أعطى فلانا وحرمنى ويقول الغنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شىء عندك من حسره السفر اذا أثر فيه أثرا بليغا أو عاريا من حسر رأسه وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية فى انه يعنى محمدا عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذى عليه فدفعه وقعد عريانا فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس لهوان منك عليه

ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أى هو يضيق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خبيرا) بمصالحهم فيمضيها (بصيرا) بحوائجهم فيقضيها (ولا تقتلوا أولادكم) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) انما عظيما يقال خطئ خطأ كائم أثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء بالمد والكسر مكى (ولا تقربوا الزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهى عن دواعى الزنا كاللمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بارتكاب ما يبيح الدم (ومن قتل مظلوما) غير مرتكب ما يبيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه (فلا يسرف فى القتل) الضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الاسراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلا تسرف حمزة وعلى على خطاب الولى أو قاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير للولى أى حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك أو للمظلوم أى الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب أو للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه كان منصورا بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على ان القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لان أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة فى الآية لكونها محرمة (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) بالخصلة والطريقة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) أى ثمانى عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) بأوامر الله تعالى ونواهيه (إن العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به او أن صاحب العهد كان مسؤلا (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون أى القبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير) فى الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم أى لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما لا تعلم ولا يصح التثبت به لبطل الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما فى الشهادات ولنا فى العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) أولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لان اولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول جرير

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ☆ والعيش بعد أولئك الايام

وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت الى مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تأخرا عن الفعل فاما اذا تقدما فلا (ولا تمش فى الارض مرحا) هو حال أى ذا مرح (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال أو لن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول (كل ذلك كان سيئه) كوفى وشامى على اضافة سيئ الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها لان السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ألا ترى تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة أى ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر الى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر وآخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفارا لحكيم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) الهمزة للانكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة إناثا) واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث أضفتم اليه الاولاد وهى من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون (ولقد صرفنا في هذا القرآن) أى التنزيل والمراد ولقد صرفناه أى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم (ليذكروا) وبالتخفيف حمزة وعلى أى كررناه ليتعظوا (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وكان الثورى اذا قرأها يقول زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا (قل لو كان معه) مع الله (آلهة كما تقولون) وبالياء مكى وحفص (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) يعنى لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما

يفعل الملوك بعضهم مع بعض أولتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واذا دالة على ان مابعدها وهولا يتغواجواب عن مقالة المشركين وجزاء لو (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالتاء حمزة وعلى (علوا) أى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة (كبيرا) وصف العلو بالكبر مبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به (يسبح) وبالتاء عراقى غير أبى بكر (له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) أى يقول سبحان الله وبحمده عن السدى قال عليه السلام ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاختلاف اللغات أولتعسر الادراك أوسبب لتسبيح الناظر اليه والدال على الخير كفاعله والوجه الاول (انه كان حليما) عن جهل العباد (غفورا) لذنوب المؤمنين (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) ذا ستر أوحجابا لا يرى فهو مستور (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهو الذى يستر الشئ (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهو مصدر سد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (ولوا على أدبارهم) رجعوا على أعقابهم (نفورا) مصدر بمعنى التولية أوجمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أى نحن أعلم بالحال أوالطريقة التى يستمعون القرآن به فالقرآن هو المستمع وهو محذوف وبه حال وبيان لما أى يستمعون القرآن هازئين لاجادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين (اذ يستمعون اليك) نصب بأعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذ هم نجوى) وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى (اذ يقول الظالمون) بدل من اذ هم (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أى فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لا يدرى ما يصنع (وقالوا) أى منكرو البعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أى مجددا وخلقا حال أى مخلوقين (قل كونوا حجارة أوحديدا أوخلقا مما يكبر في صدوركم) أى السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من يعيدنا قل) يعيدكم (الذى فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أوحديدا لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى

هو) أى البعث استبعادا له ونفيا (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أى تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو فى القبر (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم وهى أن يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة أو فسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأ يعذبكم) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض (وما أرسلناك عليهم وكيلا) حافظا لاعمالهم وموكولا اليك أمرهم وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعنى ان آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل (أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بأن يحذر كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعين

مقاتل وجدت فى كتب الضحاك فى تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها واما بدخشان فيخربها أقوام وأما ترمذ فأهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان الى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم وأما بخارى فهى أرض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعاً وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الرى فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما ارمينية وأذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهلها وويل لاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياما ثم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تخلع القلوب وتموت الابدان (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) استعير المنع لترك ارسال الآيات وان الاولى مع صلتها فى موضع النصب لانها مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها فى موضع الرفع لانها فاعل منعنا والتقدير ومامنعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله فى الامم أن من اقترح منهم آية فأجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى ومامنعنا عن ارسال مايقترحونه من الآيات الا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا أن نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال (وآتينا ثمود الناقة) باقتراحهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أريد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أريد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم فى قبضته فلا تبال بهم وامض لامرك وبلغ ما أرسلت به أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك

قوله

قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سنته فى اخباره وامل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستهزءون ويستعجلون به استهزاء (والشجرة الملعونة فى القرآن) أى وما جعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فو برا السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا يضرها وخلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز أن يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال (ونخوفهم) أى بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم أين شركائى أو هى رؤيا انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان قلت ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة لانه قال ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فوصفت بلعن أهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) هو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أى اصله طين (قال أرأيتك هذا الذى) الكاف لا موضع لها لانها ذكرت للخطاب تأكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا الذى (كرمت على) أى فضلته لم كرمته على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) وبلا ياء كوفى وشامى واللام موطئة للقسم المحذوف (الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته) لاستأصلنهم باغوائهم (الا قليلا) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أو لانه رأى انه خلق شهوانى (قال

اذهب) ليس من الذهاب الذى هو ضد المجئ وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته لنفسك وتخلية ثم عجبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب (جزاء موفورا) أى موفرا باضمار تجازون (واستفزز) أستزل أواستخف استفزه أى استخفه والفز الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار (وأجلب عليهم) اجمع وصح بهم من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب وماش من أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجعلك الرجل وهذا الان أقصى مايستطاع فى طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز أن يكون لابليس خيل ورجال (وشاركهم فى الاموال والاولاد) قال الزجاج كل معصية فى مال وولد فابليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وايثار العاجل على الآجل ونحو ذلك (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) هو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب (ان عبادى) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) يد بتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان (وكفى بربك وكيلا) لمن يتوكلون به فى الاستعاذة منك أوحافظا لهم عنك والكل أمر تهديد فيعاقب به أواهانة أى لايخل ذلك بملكى (ربكم الذى يزجى) يجرى ويسير (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) يعنى الربح فى التجارة (انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر) أى خوف الغرق (ضل من تدعون الا اياه) ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لاتذكرون سواه أو ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده الذى ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر اعرضتم) عن الاخلاص بعد الخلاص (وكان الانسان) أى الكافر (كفورا) للنعم (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم جانب البر) انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه والحاصل ان الجوانب كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان أو بحرا سبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) هى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أوان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثم لاتجدوا

لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم) أى أم أمنتم أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك (فيغرقكم بما كفرتم) بكفرانكم النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالبة والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا يجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا لانتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكى وأبو عمرو (ولقد كرمنا بنى آدم) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدى وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله تعالى فقال له جاء فى تفسير جدك ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) باللذيذات أو بما كسبت أيديهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أى على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أى كلهم وقوله ومايتبع أكثرهم الا ظنا ذكر فى الكشاف أن المراد بالاكثر الجميع وعنه عليه السلام المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفى البهائم شهوة بلا عقل وفى الآدمى كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه (يوم ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس بامامهم) الباء للحال والتقدير مختلطين بامامهم أى بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين فيقال ياأتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فمن أوتى) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) وانما قيل أولئك لان من فى معنى الجمع (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شئ ولم يذكر الكفار وايتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله (ومن كان فى هذه) الدنيا (أعمى فهو فى الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الاعمى أى أضل طريقا والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثانى بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمرو الاول مما لا والثانى مفخما لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلمة فلا يقبل الامالة وأما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت ألفه واقعة فى الطرف فقبلت الامالة وأمالها حمزة وعلى وفخمهما الباقون ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة

حتى نؤمن بك نزل (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا وعيدنا (لتفترى علينا غيره) لتتقول علينا مالم نقل يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا (واذا لاتخذوك خليلا) اى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مكرهم (شيأ قليلا) ركونا قليلا وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت (اذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة الآية وأصل الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات مايعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) معينا لك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أى أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون) لايبقون (خلفك) بعدك أى بعد اخراجك خلافك كوفى غير أبى بكر وشامى بمعناه (الاقليلا) زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى أن كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولاتجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (اقم الصلوة لدلوك الشمس) لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس اولغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن او سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل واول ديوان النهار أو يشهده

الكثير من المصلين فى العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك الهجود للصلاة ويقال فى النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة بجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أوفريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) نصب على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أوضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار أوهو مقام يعطى فيه لواء الحمد (وقل رب أدخلنى مدخل صدق) وهو مصدر أى أدخلنى القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وأخرجنى مخرج صدق) أى أخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على أثر ذلك البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة أوهو عام فى كل مايدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى أوملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أوجاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمحلا فى كل أوان (وننزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ماهو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين) وفى الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الا خسارا) ضلالا لاتكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أوأنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أوأراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين نأى بالامالة حمزة وبكسرها على (واذا مسه الشر) الفقر والمرض أونازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد مذهبا وطريقة (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى من أمر يعلمه ربى الجمهور على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبى هريرة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم ومايعلم الروح وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ماقيل فى حده انه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا

اليك ر وحامن أمرنا ولان به حياة القلوب ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر و روى أن اليهود بعثت الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربي دليل خلق الروح فكان هذا جوابا (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) الخطاب عام فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدال في السؤال بقوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان توطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا) أي الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء لقلنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالي ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه (فأبى أكثر الناس الا كفورا) جحودا وانما جاز فأبى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان أبى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبالتخفيف كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر) والتشديد هنا مجمع عليه (الانهار خلالها وسطها (تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) بفتح السين مدني وعاصم أي

قطعا يقال اعطنى كسفة من هذا الثوب و بسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتى بالله قبيلا و بالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدى بريا أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى فى السماء) تصعد اليها (ولن نؤمن لرقيك) لاجل رقيك (حتى تنزل علينا) وبالتخفيف أبو عمرو (كتابا) أى من السماء فيه تصديقك (نقرؤه) صفة كتاب (قل) قال مكى وشامى أى قال الرسول (سبحان ربى) تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل كنت الا بشرا رسولا) أى أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الى انما هو الى الله فما بالكم تقترحونها على (وما منع الناس) يعنى أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذ جاءهم الهدى) النبى والقرآن (الا أن قالوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن و بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أى الاشبهة تمكنت فى صدورهم وهى انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة فى أبعث الله للانكار وما أنكروه ففى قضية حكمته (٣) منكر ثم رد الله عليهم بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون بأجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب عليهم (مطمئنين) حال أى ساكنين فى الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم و بشرا وملكا حالان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم) على انى بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم شهيدا تمييز أو حال (انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما باحوالهم (بصيرا) بافعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة (ومن يهد الله فهو المهتد) و بالياء يعقوب وسهل وافقهما أبو عمرو ومدنى فى الوصل أى من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدى عند الله (ومن يضلل) أى ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أى انصارا (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أى يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا و بكما وصما) كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون

(٣) قوله منكر هكذا فى النسخ الخط والطبع ولعل قبله سقطا تقديره خلافه و يدل عليه عبارة الكشاف ونصها وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحى الا الى أمثاله أو الى الانبياء اه

مايلذ مسامعهم ولاينطقون بما يقبل منهم (مأواهم جهنم كلما خبت) طفئ لهبها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أى ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لايزالون على ذلك ليزيد فى تحسرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) جحودا مع وضوح الدليل (قل لو أنتم تملكون) تقديره لو تملكون أنتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلابد من فعل بعدها فاضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط مايتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الاعراب وأما مايقتضيه علم البيان فهو ان أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خزائن رحمة ربى) رزقه وسائر نعمه على خلقه (اذا لامسكتم خشية الانفاق) أى لبخلتم خشية أن يفنيه الانفاق (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل وقوله (اذ جاءهم) متعلق بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) سحرت فخولط عقلك (قال) أى موسى (لقد علمت) يافرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أى بينات مكشوفات لانك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا علمت بالضم على أى انى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وانى لاظنك يا فرعون مثبورا) كانه قال ان ظننتنى مسحورا فانا أظنك مثبورا وظنى أصح من ظنك لان له أمارة ظاهرة وهى انكارك ماعرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمرى انى لاظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ماثبرك عن هذا أى مامنعك وصرفك (فأراد فرعون أن يستفزهم) يخرجهم أى موسى وقومه (من الارض) أى أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال (فأغرقناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) التى أراد فرعون أن يستفزكم منها (فاذا جاء

وعد الآخرة) أى القيامة (جئنا بكم لفيفا) جميعا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أو ما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا الى أين فقلنا له الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدو الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أى فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أى اختاروا لانفسكم النعيم المقيم أو العذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أى التوراة من قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أى أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهى تؤكد الفعل كما أن إن تؤكد الاسم وكما أكدت ان باللام فى إنهم لمحضرون أكدت ان باللام فى لمفعولا (ويخرون للاذقان يبكون) ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما خص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر فنزلت وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأو للتخيير أى سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى (أياما تدعوا) عوض من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد وأيا نصب

بتدعوا وهو مجزوم بأى أي أى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير فى فله يرجع الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط أى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء انها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا أو معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح (ولم يكن له شريك فى الملك) كما زعم المشركون (ولم يكن له ولى من الذل) أى لم يذل فيحتاج الى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (وكبره تكبيرا) وعظمه وصفه بانه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبى عليه السلام الآية آية العز وكان اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله سورة الكهف ﴾

ن ـ م

۱۳ ۹۷ ۹۷

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

کتب خانہ

جامعہ عثمانیہ

۱۔ اراکین مجلس انتظامی مجلس قضا
جامعہ عثمانیہ اور ممبران مجلس قضا
جامعہ عثمانیہ کے ایک ایک پیریڈ
ایک ایک ممبر کو ایک ایک کتاب
جاری ہوگی جو ممبر جاری کردہ
کتاب کو ۱۵ دن کے اندر واپس
نہ کرے گا اس پر ۱ آنہ یومیہ
جرمانہ عائد ہوگا۔

۲۔ اساتذہ جامعہ عثمانیہ اور
اراکین دارالترجمہ کو ایک ایک
کتاب ۱۵ دن کے لئے جاری
ہوگی جو ممبر کتاب کو ۱۵ دن
کے اندر واپس نہ کرے گا اس
پر ۱ آنہ یومیہ جرمانہ عائد
ہوگا۔

۳۔ طلبائے جامعہ عثمانیہ کو
ایک ایک کتاب ۱۵ دن کے لئے
جاری ہوگی جو طالب علم
کتاب کو ۱۵ دن کے اندر
واپس نہ کرے گا اس پر ۱ آنہ
یومیہ جرمانہ عائد ہوگا۔

۴۔ طلبائے جامعہ عثمانیہ کو
ایک ایک کتاب ۱۵ دن کے لئے
جاری ہوگی جو طالب علم
کتاب کو ۱۵ دن کے اندر
واپس نہ کرے گا اس پر ۱ آنہ
یومیہ جرمانہ عائد ہوگا۔

۵۔ شرائط مندرجہ ۱ تا ۴ کی
پابندی ممبران مجلس قضا
اور دارالترجمہ پر لازم نہ ہوگی
لیکن وہ اس کی پابندی کریں
تو مستحسن ہوگا۔

۶۔ کتابوں کے گم یا خراب ہوجانے
کی صورت میں کتاب کا لانا لازم ہے۔

۷۔ کتابوں کے کسی قسم کا نقصان
یا کھو جانے کی صورت میں
بقیمت کتاب جرمانہ وصول
کیا جائے۔

۸۔ قلمی نسخے اور حوالے کی کتابیں
جاری نہیں کی جائیں گی فقط